بسم الله الرحمن الرحيم

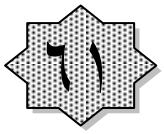

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٦١ ـ رجب ١٤٣٣هجرية قمرية

خرداد ١٣٩١هجرية شمسية /يونيو (حزيران) ٢٠١٢

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران –طهران –ص. ب: ٦٩٩٥– ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتر**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٦١

وقفات عند خطاب الإمام الخامنئي ٤

دور السيد محمد باقر الحكيم في التقريب ٧

آية الله السيد محمد باقر الحكيم شهيد المحراب ورائد التقريب.... ١١

أسس الفكر التقريبي عند السيد الشهيد الحكيم..... ٢٦

ارتباط التشيع بالتقريب في رؤية السيد الحكيم ٤٠

مشاريع عملية تقريبية في مسيرة السيد محمد باقر الحكيم.... ٤٩

التفريق بين الدائرة السياسية والدائرة الشعبية ٥٥

مقاربات في البعد الأخلاقي لخطاب شهيد المحراب المعرفي..... ٥٩

السيد الحكيم والحركة الجهادية لسكان الأهوار ٨٢

المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ٩٨

بمناسبة ذكرى استشهاد السيد محمد باقر الحكيم الأول من رجب ١٤٢٤هـ

نداء الإمام الخامنئي
بمناسبة استشهاد
السيد محمد باقر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله و إنا إليه راجعون.

ارتكبت اليد الأثيمة القذرة لمرتزقة الاستكبارفاجعة كبرى وسلبت الشعب العراقي شخصية قيمة كانت تعد خندقًا منيعًا أمام محتلي العراق، فعمدت إلى هدم هذا الخندق.

اليوم و إلى جوارالحرم الملكوتي لمولى المتقين عليه آلاف التحية والثناء انتهل آية الله محمد باقرالحكيم والعشرات من الرجال والنساء المؤمنين الذين اغترفوا من زلال الذكروخشوع صلاة الجمعة انتهلوا كأس الشهادة وعرجوا إلى حريم الأمن والرحمة والفيض الإلهي الخاص.

كان هذا الشهيد العزيزعالمًا مجاهدًا كافح نظام صدام الخبيث سنوات طوالًا لإحقاق حقوق الشعب العراقي، وبعد سقوط صنم الشروالفساد وقف سدًا قويًا بوجه المحتلين الأمريكيين والانجليزوبدأ كفاحًا صعبًا ضد مخططاتهم المشؤومة وأعدّ نفسه

للاستشهاد في سبيل هذا الجهاد الكبير والالتحاق بقافلة شهداء عائلة آل الحكيم المعظمة وسائرشهداء العلم والفضيلة في العراق. الفاجعة التي وقعت اليوم في النجف الأشرف واستشهاد هذا السيد الجليل والعالم المجاهد تصب بلاشك في خدمة أهداف أمريكا والصهاينة الغادرين.

كان الشهيد آية الله الحكيم تجسيدًا للإرادة المشروعة لشعب يرى دينه واستقلاله ومستقبل بلاده عرضة للأخطار وبيوته تحت أحذية المحتلين و إرادته تتجه نحو الدفاع عن هويته الدينية والوطنية مقابل المعتدين.

استشهاد هذا السيد الجليل مصاب جلل للشعب العراقي ووثيقة أخرى على إجرام المحتلين الذين فرضوا انعدام الأمن والفوضى على العراق بتواجدهم اللامشروع فيه.

وليعلم أعداء العراق المستقل المسلم أن هذا الاستشهاد المظلوم لن يضعف من عزيمة الشعب العراقي ومقاومته حيال مخططات وأهداف الاستكباروالصهيونية، ولن يضعضع من إيمانه ووفائه لخط الإسلام والقيادة الدينية، بل سيكون أكثرصمودًا إن شاء الله على الضد من إرادتهم ورغبتهم.

أذكّرالشعب العراقي المؤمن الغيوربأن السبيل الوحيد لشموخه و إنقاذ بلاده من شرورمخططات الاستكباروالصهيونية الخطيرة هو وحدة كلمته تحت لواء الإسلام المجيد. وبوسعه اليوم عبرالاعتصام بهذا الحبل الإلهي المتين تقريرمستقبل لبلاده وأجياله الآتية يتألق فيه

العراق الإسلامي المستقل كنجم زاهرفي العالم الإسلامي.

إنّ الشخصيات البارزة والنخبة الدينية والسياسية في العراق لن يتمكنوا من النهوض بالواجب الكبيرالملقى على عواتقهم في هذه الأيام الاستثنائية إلا عبرالاعتصام بالإسلام ووحدة الكلمة، ونتمنى أن يكونوا موفقين وراسخي الأقدام على هذا السبيل.

أعزي سيدنا بقية الله الأعظم روحي فداه، وعموم الشعبين في العراق و إيران، والحوزة العلمية، والمراجع العظام والعلماء الأعلام في النجف وقم، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، ولا سيما عائلة الحكيم المعظمة المنجبة للشهداء، وخصوصًا أخاه المكرم حضرة السيد عبد العزيزالحكيم، والعائلة والأبناء الأعزاء لشهيد المحراب هذا، كما أبارك لهم هذه الشهادة الكبرى، وأسأل الصبر الجميل والأجرالجزيل للعوائل المحترمة لسائرشهداء هذا الحدث المفجع، وأسأل الله تعالى علوّ الدرجات لكافة هؤلاء الشهداء المظلومين والشفاء العاجل لمصابي الحادث، وأعلن العزاء العام لمدة ثلاثة أيام تكريمًا لذكرى هذا السيد الشهيد العزيزوسائررفاق دربه.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

السيد علي الخامنئي

١٣٨٢/٦/٧ هجرية شمسية

الأول من رجب ١٤٢٤هجرية قمرية

دور السيد محمد باقر الحكيم في التقريب

محمد علي التسخيري *

المقصود بالتقريب هنا الجهود المبذولة على اختلاف أنواعها لتقريب وجهات النظر بين أهل السنة والشيعة.

اتخذ مفهوم التشيع ومفهوم التسنن تعاريف مختلفة على مرّ التاريخ، دخلت فيه عناصر تاريخية وسياسية وفقهية وعقائدية ونفسية، ولا يمكن اختزال الأمر في مسألة الخلاف بين الإمامة والخلافة، ولا في الخلافات الفقهية، بل تدخلت عوامل عديدة لتجعل المسلمين ينقسمون إلى سنة وشيعة كان بينهما خصام أدّى إلى نزاعات وفتن، وتخلّل ذلك محاولات لإحلال الوآم بين الفريقين. ارتبط تاريخ التسنن غالبًا - لا دائمًا - بالسلطة الحاكمة في عصور الخلافة الإسلامية، كما ارتبط تاريخ التشيّع غالبًا لا دائمًا أيضًا بالثورات التي طالبت باعادة الحقّ إلى نصابه في المجال السياسي والاقتصادي[1].

---

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

١ - انظر: فاضل الانصاري، قصة الطوائف، الإسلام بين المذهبية والطائفية، ط، دمشق ٢٠٠٠.

وأبرزظاهرة بعد سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ على يد المغول في العلاقة بين السنة والشيعة ظهورالدولة العثمانية التي تولّت مسؤولية الخلافة والدفاع عن أهل السنة، وما رافقها من ظهورالدولة الصفوية التي تبنّت الدفاع عن الشيعة. والعلاقة بين الدولتين كان يسوده الخصام السياسي غالبًا الذي ترك أثره في تأجيج نيران الخصومات بين أهل السنّة والشيعة.[١].

وكان من المفروض أن يخفّ الخلاف الطائفي هذا بعد سقوط الدولتين العثمانية والصفوية. لكن العالم الإسلامي دخل بعد ذلك عصرالاستعمار. وهو عصرتكرّست فيه الطائفية بشكل واضح لسببين: الاول –أن المصلحة الاستعمارية اقتضت التفريق لاستتباب الهيمنة. الثاني –أن الهزيمة النفسية تخلق عادة حالة من الذلّ والتشبث بالصغائر والابتعاد عن الأهداف الكبيرة.

وبلغ النزاع الطائفي في هذه المرحلة ذروته بعد ظهورالوهّابية، لكن الساحة لم تخل من محاولات للتخفيف من هذا النزاع و إزالة التوتربين الفريقين، من تلك محاولات محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا في مصرومحاولات السيد جمال الدين الأفغاني وتلاميذه في مصروفي أرجاء العالم الإسلامي، ومحاولات الأزهروقم والنجف[٢].

ولعل أوسع مشروع تقريبي ظهرفي القرن الماضي كان مشروع

---

١ - انظر: دورالقوى الأجنبية في تأجيج نيران الخلاف بين الدولتين: د. علي اكبر ولايتي، مقدمة فكرية لحركة المشروطة، طبعة المستشارية الثقافية بدمشق، ٢٠٠١م.

٢ - انظر: محمد علي آذرشب، الخلاف السني الشيعي.. ومحاولات التقريب المذهبي في القرن العشرين، عدد خاص من «أمتي في العالم» الكتاب الخامس، مركزالحضارة للدراسات السياسية، القاهرة، ٢٠٠١ ص ٢٦٦ - ٢٩٣.

«دارالتقريب بين المذاهب الإسلامية» في القاهرة[1].

هذا المشروع ـ وإن كان قد حقّق انجازات باهرة ـ لم يقض على حالة النزاع الطائفي السنّي الشيعي، وقد عانى رجال الدار الأمرّين من الحساسيات الموجودة لدى الجانبين لأن العامل الطائفي يتغذّى من العُقَد التي خلقتها حالة الهزيمة النفسية والتخلّف في العالم الإسلامي، وهي قائمة حتى يومنا هذا.

الأجواء التي أحاطت بالسيد الحكيم

لما للظروف الاجتماعية من تأثيرعلى تبلورفكرالأفراد نقف باختصارعند مايرتبط بالتقريب في البيئة التي عاش فيها السيد الحكيم بالعراق و إيران.

لعل الاستعمارلم يحاول تكريس الحالة الطائفية في بلد من البلدان كما حاوله في العراق. لقد غذّى روح التعصّب لدى الفريقين، وخطط لمواصلة بقاء هذا التعصّب حتى بعد نزوحه.

غيرأنّ الصحوة الإسلامية في هذا البلد وضعت أمام المنتمين إليها آفاقًا واسعة من الأهداف الرسالية جعلتهم تلقائيًا يميلون إلى التفكيربالأمة الإسلاميّة وقضايا تخلّفها وسبل استئناف مسيرتها الحضارية وعودتها إلى ساحة التاريخ، وبذلك تضاءلت تلقائيًا أيضًا الحساسيات الطائفية في نفوسهم.

---

١ - انظر: محمد علي آذرشب، ملف التقريب، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ١٤٢١ .

واجهت الصحوة هذه عقبات كثيرة طبعًا من القابعين في إطارهم الضيق من السنة والشيعة.. ولكنّ رجل هذه الصحوة الكبيروأعني **السيد الشهيد محمد باقرالصدر** كان حكيمًا كلّ الحكمة في مواقفه، لم يتصدّ لمعالجة الطائفية مباشرة، بل تصدى لها عن طريق طرح المشروع الإسلامي الكبيرللعودة إلى الحياة الإسلامية بلغة العصروعلى مستوى احتياجات العصر، مما جعل الحالة الطائفية مهمّشة بل مرفوضة في وعي المنتمين إلى الصحوة الإسلامية.

والسيد محمد باقرالحكيم من وجوه الصحوة ومن الذين عايشوا مدرسة الشهيد الصدرفكريًا وعمليًا، ومن الطبيعي أن يرتفع إلى مستوى هموم الأمة وآمالها وآلامها رغم ماتعرّض له من لوم اللائمين القابعين في دائرة مصالحهم الشخصية الضيقة.

ثم انتقل السيد الحكيم إلى إيران ليعيش في ظل دولة إسلامية فتية لها أهداف واسعة على ساحتها الداخلية والخارجية. ورغم أنه ظلّ في إيران يعيش الهمّ العراقي بالدرجة الأولى، لكنه كان يعيش في خضم أحداث الجمهورية الإسلامية ومؤسساتها، لذلك بقي محافظًا على همومه الكبيرة، ولم تدفعه المعاناة الإيرانية العراقية خلال أكثرمن عقدين إلى الانطواء على نفسه، بل واصل جهوده العلمية والعملية بكل جدّ ومثابرة. وظهراهتمامه التقريبي في إيران بوضوح من خلال نشاطاته وكتاباته.

آية الله السيد محمد باقر الحكيم
شهيد المحراب ورائد التقريب

ولادته:

ولد آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم(دام ظلّه) في الخامس والعشرين من جمادى الأولى عام ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م في مدينة النجف الأشرف مركزالمرجعية الدينية عند الشيعة الإمامية منذ عدة قرون، حيث توجد فيها أكبرجامعة علمية للمسلمين الشيعة حتى أواخرالسبعينات.

والسيد الحكيم، هونجل الإمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم، (المرجع الديني العام للشيعة في العالم منذ أواخر الخمسينيات حتى وفاته عام ١٩٧٠م،١٣٩٠ هـفي السابع والعشرين من ربيع الأول).

عائلته ونسبه:

وأسرة آل الحكيم من الأسرالعلوية التي يعود نسبها إلى الامام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) عن طريق ولده الحسن المثنّى، وهي من العوائل العلمية العراقية الأصيلة (آل طباطبا)، حيث استوطن أجدادها العراق منذ أوائل القرن الثاني الهجري، ثم

انتشروا بفعل الظروف السياسية والاجتماعية التي مرت على العراق، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في اليمن و إيران وشمال أفريقيا وغيرها من البلدان.

وهي في العراق من الأسر المشهورة التي ذاع صيتها خصوصًا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وقد برزمنها قبل ذلك علماء مشهورون بالطب والأخلاق والفقه والأصول، وعرف منهم في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، العالم الأخلاقي المعروف آية الله المقدس السيد مهدي الحكيم، والد الإمام السيد محسن الحكيم (قدس سره)، والذي هاجرفي أواخرحياته إلى بنت جبيل من قرى جبل عامل في لبنان بطلب من أهلها، وكان زميلًا في الدرس مع آية الله المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي، وقد تخرج في الأخلاق على يد الشيخ حسين قلي همداني صاحب المدرسة الأخلاقية المعروفة.. وتوفي في لبنان يوم الجمعة ٨ صفرسنة ١٣١٢ هـ وله في تلك البقاع مدفن يزار، وعرف منهم كذلك المرجع الديني الأعلى الإمام السيد محسن الحكيم (قدس سره) وعدد كبيرآخرمن أساتذة الحوزة العلمية، وتحظى الأسرة اليوم بحب واحترام ملايين المسلمين في العراق وخارجه.

وفي أوائل الثمانينات من القرن العشرين الميلادي تعرضت هذه الأسرة الشريفة إلى حملة اعتقال و إبادة واسعة على يد صدام وجلاوزة حزب البعث العراقي المجرمين، مما لم يشهد له تاريخ العراق

الحديث مثيلًا، ففي ليلة واحدة اعتقل نظام المجرم صدام أكثرمن سبعين شخصًا من هذه الأسرة رهائن، بينهم من قارب الثمانين من العمر كآية الله العظمى المغفورله السيد يوسف نجل الإمام الحكيم(رض)، وآية الله السيد محمد حسن نجل آية الله السيد سعيد الحكيم، وبينهم من لم يبلغ الحلم بعد، وزج بهم جميعًا في السجون دون أن توجه لهم أي تهمة، إلاّ لأنهم من أقرباء **السيد محمد باقرالحكيم** ولأنهم رفضوا الخضوع للنظام وتنفيذ سياساته الهوجاء.

وفي فترات لاحقة قتل منهم النظام أكثرمن ستة عشرشخصًا، بينهم مجتهدون وعلماء كبار، كما أن عدد الشهداء منهم على يد طاغية العراق زادوا على العشرين، ولايزال قسم منهم لا يعلم له أثر[1].

لقد جسدت هذه الأسرة مظلومية المؤمنين ولاسيما الأسرالعلمية منهم في أجلى صورها، حيث تحملت ما تحملت من المصائب والآلام، لالشيء فعلته سوى انتمائها لرسول الله (ص)، و إيمانها بالله عزوجل، وصبرها وصمودها في مواجهة الطاغية، ولأن من رجالها الأبطال من تحمل مسؤولية الدفاع عن الشعب العراقي المظلوم،

---

١ - وهم ثمانية عشرشخصًا من العلماء والمؤمنين والمتدينين، منهم السيد محمد رضا نجل الامام الحكيم، الذي اعتقل مع مجموعة من كبارعلماء النجف الأشرف بعد الانتفاضة الشعبانية في آذار١٩٩١م. وقد تبين بعد سقوط صدام ونظامه المجرم انهم جميعا قد قتلوا إلى جانب أكثرمن مائة عالم من مختلف البلدان العربية والإسلامية والعوائل العلمية العراقية المعروفة.

فهتف بندائه وصرخ في وجه الطاغية بـ(لا)، ذلك هو آية الله المجاهد الشهيد السيد محمد باقرالحكيم(قدس سره).

دراسته العلمية وعطاؤه الفكري:

تلقى السيد الحكيم علومه الأولية في كتاتيب النجف الأشرف، ثم دخل في مرحلة الدراسة الابتدائية في مدرسة منتدى النشر الابتدائية، حيث أنهى فيها الصف الرابع فتركها بعد أن نشأت عنده الرغبة في الدخول في الدراسات الحوزوية بصورة مبكرة، حيث بدأ بالدراسة الحوزوية عندما كان في الثانية عشرة من عمره وكان ذلك سنة ١٣٧٠ هـ/١٩٥١م. وخلال خمس سنوات أي من عام ١٣٧٠هـ إلى ١٣٧٥ هـ نهل علوم النحو والمنطق والفقه والأصول؛ ليصل إلى دروس (السطح العالي) سنة ١٣٧٥هـ فدرس الرسائل عند سماحة آية الله السيد محمد حسين الحكيم (رض)، والجزء الأول من الكفاية عند أخيه الأكبر آية الله العظمى السيد يوسف الحكيم (رض)، وواصل دراسة الجزء الثاني من الكفاية، وكذلك جزء من المكاسب عند الشهيد الصدر أيضًا، وكان زملاؤه في دراسة الكفاية عند الشهيد الصدر(رض) كل من حجة الإسلام السيد نور الدين الأشكوري، والسيد فخرالدين الموسوي العاملي، والسيد طالب الرفاعي، وقد انقطع للدراسة عند ا لسيد الشهيد الصدر منذ ذلك الحين، أي سنة ١٣٧٦هـ.

وبعد أن تجاوزهذه المرحلة من الدراسة حضردرس (خارج الفقه والأصول) لدى كبارالمجتهدين أمثال آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي (رض) وآية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر(رض) حيث حضرعنده في بداية تدريسه لبحث الخارج، واستمربالحضورلدى هذين العلمين الكبيرين فترة طويلة.

وكلاهما كان يوليه اهتمامًا خاصًا وملحوظًا.

وقد عرف منذ سن مبكرة بنبوغه العلمي وقدرته الذهنية والفكرية العالية، فحظي باحترام كبارالعلماء والأوساط العلمية، كما نال في أوائل شبابه من المرجع الكبيرآية الله العظمى الشيخ مرتضى آل ياسين شهادة اجتهاد في علوم الفقه وأصوله وعلوم القرآن، وذلك في عام ١٣٨٤هـ .

كما ساهم بتأسيس الحركة الإسلامية في العراق ورعايتها، وعندما تأسست جماعة العلماء في النجف الأشرف في أواخر السبعينات الهجرية (أواخرالخمسينات الميلادية)، أختيرعضوًا في اللجنة المشرفة على مجلة الأضواء الإسلامية، وهي مجلة إسلامية ساهمت كثيرًا في تشكيل الوعي الفكري والسياسي الإسلامي لدى جيل الخمسينيات الميلادية.

وبعد أن نال سماحته مرتبة عالية في العلم بفروعه وفنونه المختلفة مارس التدريس لطلاب السطوح العالية في الفقه والأصول، وكانت له حلقة للدرس في مسجد الهندي في النجف الأشرف، وعرف بقوة الدليل، وعمق الاستدلال، ودقة البحث والنظر، فتخرج على يديه

علماء انتشروا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ولم يقتصر سماحته على تعلم الفقه والأصول، وانّما أضاف إلى ذلك، العلوم الحديثة وكان يطّلع ـ وهو في شبابه ـ على الأفكار الجديدة التي أخذت تدخل إلى أوساط المجتمع العراقي عبر الكتب والمجلات والصحف، فمنحه ذلك قدرة التواصل مع التطورات الحديثة على الأصعدة المختلفة، و إلى جانب ذلك تميز بفكر عميق وشامل، فهو يطرح القضايا ويناقشها بدقة ويغوص في أعماق الدليل فيخرجه واضحًا.. مقنعًا.. ومنطقيًا، وقد عرف في الأوساط العلمية والسياسية بقوة الحجة والدليل.. فشهد له بذلك كل من حاوره أو استمع إليه.

وكل ذلك، كان قد أهله، وهو بعد لما يتجاوز العشرين عامًا من عمره لكي يساهم في مراجعة كتاب *فلسفتنا* لعملاق الفكر الإسلامي المعاصر آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر(رض) بعد أن حضر دروسه الفلسفية آنذاك، وهو كتاب لا نظير له في مناقشة الفكر المادي، وهي مراجعة لم تكن تقتصر على اختيار العناوين، وانما امتدت لتشمل مناقشة الأفكار والآراء كذلك.

فقد كتب الشهيد الصدر(رض) كتاب *فلسفتنا* مرتين بمنهجين، وكان لسماحة السيد الحكيم دور في تشخيص التصميم العام للمنهج في الكتاب، وكذلك قراءة الكتاب لمناقشة

أفكاره ووضع العناوين وتقسيمها لفصول وموضوعات ومن ثم الإشراف على تصحيحه وطبعه، كما أهله لذلك ليكتب بعض الموضوعات للتثقيف العام والخاص، وبخاصة حول موقف الإسلام من القومية، وهي كتابة دللت على عمق وفكرثاقب، وكان عمره حينذاك عشرون عامًا.

انتخابه للتدريس في كلية أصول الدين:

ومع ذيوع صيته العلمي، ومن أجل تحقيق نقلة نوعية في العمل الاجتماعي والثقافي لعلماء الدين في انفتاح الحوزة العلمية على الجامعة من ناحية، وتربية النخبة من المثقفين بالثقافة الدينية الأصيلة والحديثة، فقد وافق سماحته على انتخابه عام ١٩٦٤ م ليكون أستاذًا في كلية أصول الدين في بغداد، يدرّس علوم القرآن، والشريعة، والفقه المقارن، وقد استمرفي ذلك النشاط حتى عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٥، وتوقف عن التدريس في الكلية بعد مصادرتها من قبل نظام حكم حزب البعث العراقي في ذلك العام، حيث كان عمره الشريف حين شرع بالتدريس خمسة وعشرون عامًا.

وكانت كلية أصول الدين تقع ضمن المشروع الثقافي والاجتماعي العام لمرجعية الإمام الحكيم(رض) ومؤسساتها، وكان السيد الحكيم يشترك في التخطيط والإسناد والمتابعة لهذه المشاريع ضمن تلك المرجعية الكبرى، كما كان يشترك في ذلك آية الله العظمى الشهيد الصدر(رض) والعلامة السيد مرتضى

العسكري(رض)، والعلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم(رض) وعلماء أفاضل آخرون.

ومن أجل دعم هذا المشروع وتقوية بنيته الثقافية والفكرية والتربوية تم التداول بين تلك المجموعة في أن يشارك السيد الحكيم في هذا المجال الحيوي الجديد انطلاقًا من فكرة قيمومة و إشراف الحوزة العلمية ومشاركتها في النشاطات الجامعية، وبعد أن تم تنضيج هذه الفكرة اقترح آية الله السيد الشهيد الصدر(رض) على السيد الحكيم إدارة الكلية على أن يقوم رضوان الله تعالى عليه بالمشاركة في التدريس، فقام سماحته بتدريس مادتي علوم القرآن والفقه المقارن، مضافًا إلى المشاركة في اجتماعات الهيئة التدريسية والإشراف على مجلة (رسالة الإسلام). وكان سماحته يسافر أسبوعيًا إلى بغداد مع صعوبة الظروف، والتنقّل في ذلك الوقت لأداء هذه المهمة، وقد تعاظم دوره في هذه الكلية بعد غياب العلامة السيد مرتضى العسكري عن عمادة الكلية بسبب ظروف المطاردة.

وعلى صعيد التدريس أيضا، فقد مارس سماحته تدريس البحث الخارج على مستوى الإجتهاد في إيران بشكل محدود بسبب انشغاله بقيادة الجهاد السياسي، وكان تدريسه في كتاب القضاء والجهاد، والأمربالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم الإسلامي.

كما قام بتدريس التفسيرلعدة سنوات حتى قبل استشهاده

بأشهر، من خلال منهج التفسير الموضوعي والتفسير التجزيئي الاجتماعي.

و إلى جانب نشاطه العلمي في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، والتدريس في كلية أصول الدين ببغداد، فقد كان (رض) يشعر بالحاجة إلى وجود المبلغين الإسلاميين وضرورة اطلاعهم على العلوم الحديثة، فتحرك وبتأييد من الإمام الشهيد الصدر (قدس سره) وتعاون مجموعة من العلماء الأفاضل نحو تأسيس (مدرسة العلوم الإسلامية) في النجف الأشرف سنة ١٣٨٤هـ وقد خرّجت تلك المدرسة عددًا من الدارسين، حملوا فيما بعد راية نشر الوعي الإسلامي في العراق، وفي مختلف بقاع العالم الإسلامي، وكان تأسيس تلك المدرسة في إطار مرجعية والده الإمام الحكيم (قدس سره) وفي عهده، واستمرت في نشاطها حتى بعد وفاته، بفضل اصرار السيد الحكيم على الرغم من العراقيل والمصاعب التي واجهته المدرسة من جهات متعددة.

كما قام شخصيًا وبطلب من والده المرجع الأعلى بالتبليغ الإسلامي، ووظيفة العالم الديني في مدينة الكوت لمدة شهرين تقريبًا بعد عالمها حجة الإسلام والمسلمين الشيخ سليمان اليحفوفي.

ومع ان السيد الحكيم قد أعطى أكثر وقته في المهجر للنشاط الاجتماعي والسياسي، إلا انّ إنتاجه الفكري استمر ثرًا معطاءً، على الرغم من أن أكثر انتاجه الفكري لم يخرج إلى النور لحد الآن، إلا

أنّ مانشرمنه يكشف نوعًا ما عن قابلياته الفكرية العميقة والغنية.

فقد كان يشارك في المؤتمرات الفكرية مثل مؤتمرالفكر الإسلامي، والوحدة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي، وأهل البيت عليهم السلام، ومؤتمرات الحج، كما يلقي الدروس والمحاضرات في التفسير، والفقه والتاريخ، والسياسة والمجتمع وكذلك رئاسته للمجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ورئاسته للهيئة العامة لمجمع أهل البيت العالمي، كما كان يكتب وتجري معه الحوارات، وكان حصيلة ذلك مجموعة من الكتب والأبحاث والدراسات، والمحاضرات الكثيرة الغنية بالمادة المعرفية.

كتبه

وقد صدرت للسيد الشهيد حتى الآن الكتب والدراسات والأبحاث التالية:

أ - القرآن والتفسير:

١ـ علوم القرآن (مجموعة محاضراته التي ألقاها على تلامذته في كلية أصول الدين) وقد نقحه وأضاف عليه وأعيد طبعه في أواخر عام ١٤١٧هـ وهو كتاب كبيرومهم. وقد تمت ترجمته إلى اللغة الفارسية.

٢- القصص القرآني. وهو كتاب كبيرأصبح منهجًا يدرس في

الجامعة الدولية للعلوم الإسلامية في إيران، ويجري العمل الآن على ترجمته إلى اللغة الفارسية من قبل احدى دورالنشربطهران.

٣- الهدف من نزول القرآن وآثاره على منهجه في التغيير، وهو بالأصل بحث كتبه لأحد مؤتمرات الفكرالإسلامي المنعقدة في إيران، ثم قام بتوسيعه وتنقيحه فصدرفي كتاب مستقل.

٤ – مقدمة التفسيروتفسيرسورة الحمد وقد تناول فيه قصص أولي العزم، ضمن منهج اعتمد فيه على القرآن وأحاديث أهل البيت(ع) مستبعدًا الإسرائيليات التي دخلت في الحديث عن الأنبياء. ويجري العمل أيضًا على ترجمته من قبل أحدى دورالنشربطهران.

٥- منهج التزكية في القرآن.

٦- تفسيرسورة الصف (مخطوط).

٧- تفسيرسورة الجمعة (مخطوط).

٨- تفسيرسورة (المنافقون) (مخطوط).

٩- تفسيرسورة الحشر(مخطوط).

١٠- تفسيرسورة التغابن (مخطوط).

١١- المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن ـ وهو كتاب ألّفه في الستينات وطبع في العراق في أواسط السبعينات. وهو مقتطف من محاضراته في علوم القرآن التي القاها على طلبة كلية أصول الدين ببغداد.

١٢- الظاهرة الطاغوتية في القرآن (مطبوع).

ب – أهل البيت (ع) والسيرة:

١ـ أهل البيت(ع) ودورهم في الدفاع عن الإسلام (مطبوع).

٢ـ دورأهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة ـ مجلدان من موسوعة عن أهل البيت عليهم السلام (مطبوع)، وهو كتاب مهم في بابه لدراسة حياة أئمة أهل البيت(ع)، ويجري العمل حاليًا على ترجمته إلى اللغة الفارسية.

٣- ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) (مطبوع)، وهو عبارة عن قسم من محاضراته التي ألقاها في أوقات مختلفة.

ج – ثقافة إسلامية عامة:

١.الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق (مطبوع).

٢- دورالفرد في النظرية الاقتصادية الإسلامية (مطبوع).

٣- حقوق الإنسان من وجهة نظر إسلامية (مطبوع).

٤- النظرية الإسلامية في العلاقات الاجتماعية.

٥- النظرية الإسلامية في التحرك الإسلامي (مطبوع).

٦- لمحة عن مرجعية الإمام الحكيم (مطبوع).

٧- دعبل بن علي الخزاعي شاعرأهل البيت(ع) (مطبوع).

٨- أفكارونظرات جماعة العلماء (مطبوع).

٩- العلاقة بين القيادة الإسلامية والأمة (مطبوع).

١٠- الوحدة الإسلامية من منظورالثقلين (مطبوع)، طبع عدة

طبعات، كان آخرها في مصرسنة ٢٠٠١م.

١١- القضية الكردية من وجهة نظرإسلامية (مطبوع).

د- في السياسة والحركة الإسلامية:

١.الوجه الآخرللنظام العراقي (مطبوع).

٢- النظرية السياسية للشهيد الصدر(مطبوع)

٣- الكفاح المسلح في الإسلام (مطبوع).

٤- الصراع الحضاري والقضية الفلسطينية (مطبوع).

٥- العراق.. تصورات الحاضروالمستقبل (مطبوع).

وللسيد الشهيد الحكيم تقريرات للدروس التي تلقاها على مستوى المقدمات والسطوح وبحث الخارج، تركها في النجف بسبب الهجرة من العراق، واستولى عليها الأوغاد والمجرمون من مرتزقة نظام صدام ضمن مصادرتهم لممتلكاته، ومنها مكتبته وكتاباته.

وقد طبعت بعض خطبه التي كان يلقيها في المناسبات الدينية والسياسية على شكل كراسات ومنها:

١.مأساة الحسين (ع) وتصعيد روح المقاومة.

٢- المرجعية الدينية ودورها في الأمة.

٣- آثارمرجعية الإمام الحكيم (رض).

٤- المرجعية، الوحدة، الجهاد.

٥- السيد النقوي ومدرسة أهل البيت (رض).

٦- الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم وحركة حزب الله.

٧- السيد محمد مهدي الحكيم (قدس سره) الجهاد، الهجرة، الشهادة.

٨ – العمل الجهادي والغطاء السياسي.

٩ – استراتيجيتنا المستقبلية.

١٠ – المشروع السياسي العسكري.

١١- انتفاضة الشعب العراقي (١٥ شعبان) تجسيد الولاء للإسلام.

١٢- حوارات، وهو كتاب ضم مجموعة من الحوارات السياسية والثقافية التي أجريت مع سماحته على فترات مختلفة (جزءان).

١٣- المنهاج الثقافي السياسي.. وهو مجموعة محاضرات تخصصية قيمة، ألقاها سماحته على مجموعة من العلماء والمبلغين والمثقفين، وقد طبعت بشكل محدود.

وله غير ذلك مما لم ينشر الكثير من الدراسات القيمة في شتى أنواع المعرفة الإنسانية والعلوم الإسلامية.

المؤسسات الثقافية:

وفي إيران و إلى جانب نشاطاته السياسية الكبيرة، فقد أولى سماحته القضايا الثقافية الإسلامية اهتمامًا كبيرًا، فكان له دور كبير في إنشاء مؤسستين إسلاميتين عالميتين:

الأولى: هي المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية حيث

يحتل الآن موقع رئيس المجلس الأعلى لهذا المجمع.

والثانية: المجمع العالمي لأهل البيت(ع) حيث يحتل موقع نائب رئيس المجلس الأعلى لهذا المجمع.

كما بادر سماحته إلى تأسيس مركز دراسات تاريخ العراق الحديث ومقره في مدينة قم المقدسة.

مؤسسة (دار الحكمة) التي تضم مدرسة دينية حوزوية ومركزًا للنشر، ومركزًا آخر للبحوث والدراسات، ومكتبة علمية تخصصية، وأسّس مجمع الكوادر الإسلامية لتربية الكوادر الإسلامية والقيام بالنشاطات الثقافية السياسية.

«يجب أن يكون تبادل الأفكار والآراء والمناقشات بين علماء المذاهب تمامًا كما هو الحال بين علماء العلوم التجريبية والفكرية والثقافية، حيث يكون ردّ العالم على الآخر غالبًا بروح الاحترام للرأي الآخر، باعتبار أنه يردّ على جهة علمية بذلت جهودًا حتى توصلت إلى هذا الرأي.

بنفس هذا النَفَس من الاحترام المتبادل يجب أن يسير الحوار بين علماء المذاهب، إذا شاؤوا التقريب بينهم».

الشهيد محمد باقر الحكيم

أسس الفكر التقريبي
عند السيد الشهيد الحكيم[1]

يقوم الفكر التقريبي عند السيد الشهيد محمد باقر الحكيم على الأسس التالية:

الف – المعالجة العلمية للخلاف المذهبي.

ب – المعالجة الأخلاقية للخلاف.

ج – المعالجة النفسية لمسألة الخلاف.

د – عقد الأمل على مستقبل التقريب.

الف – المعالجة العلمية

الحالة الطائفية ذات جذور نفسية ـ كما سيأتي ـ ترتبط بحالة التخلّف وما يرافقها من حالة عشائرية في عالمنا الإسلامي. وقد تتخذ الطائفية طابع مجادلات علمية، لكنها لا تنتمي في الواقع إلاّ إلى روح عشائرية، والدليل على ذلك أنها تتجه إلى تكريس الخلاف لا إلى

---

١ - اعتمدنا في استخلاص هذه الأسس على مقابلة هامة أجراها الكاتب مع السيد الشهيد عام ١٤١٧هـ ونُشرت في العدد ١١ من مجلة «رسالة التقريب» الصادرة من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، وأُشير إليها في المتن بعبارة (مقابلة).

تقصّي حقائقه العلمية، ولاأدلّ على ذلك أن الطائفيين لا يحملون أبدًا همًا رساليًا إسلاميًا، بل يعيشون فقط في دائرة همومهم المذهبية.

والمعالجة العلمية للطائفية هي نقل الخلاف إلى دائرة علمية موضوعية لمعالجة حقائقه وفق منطق مقبول لدى علماء الفريقين، يؤدّي في النتيجة إلى اتفاق بين الجانبين أو إلى اختلاف اجتهادي طبيعي بعيد عن التعصّب والنزاع.

وهذه العملية العلميّة ـ في رأي السيد الحكيم ـ تنتهج السبل التالية:

١ـ «الاهتمام بالبحث عن الحقائق لكل مذهب من المذاهب الإسلامية. فكل مذهب له متبنيات خاصة، سواء في الجانب العقائدي أو الفقهي أو في حقل تفسيرالتاريخ وفهم التاريخ» (مقابلة/٣٨)

وهذه الدعوة تعود إلى أن «حقائق كل مذهب قد اختلطت ـ مع الاسف ـ باتهامات ونسب باطلة» (مقابلة/ ٣٨).

من هنا فإن «التقريب بين المذاهب يفرض أولًا الأخذ بمتبنيات كل مذهب من لسان أصحابه. وهذا أساس هام من أسس التقريب لفرزالصحيح عن المفتعل والمفترى عليه في كل مذهب». (مقابلة /٣٨).

٢ـ في كل مذهب آراء فقهية وعقائدية شاذة، لايجوز أن يحمل المذهب أوزارها، بل المنهج العلمي يقتضي «التمييزبين الرأي السائد

والرأي الشاذ داخل كل مذهب. فآراء رجال المذاهب بعضها يمثل الرأي السائد، وبعضها شاذ يختلف عن متبنيات المذهب السائدة. والباحث الذي يسند رأيًا إلى مذهب معين لابدّ أن يأخذ بنظرالاعتبار الرأي السائد ولا يتشبث بالآراء الشاذة. نعم، يمكن أن ينقل هذه الآراء الشاذة وينسبها إلى أفرادها، لا إلى المذهب بشكل عام». (مقابلة/ ٣٨).

٣- المرجعية العلمية التي تحكم مسائل الخلاف بين السنة والشيعة تشكل السند القويم لحلّ هذا الخلاف. والسيد الحكيم يعتقد أن المسلمين متفقون نظريًا على هذه المرجعية لكنهم لا يلتزمون بها عمليًا في التحكيم بمسائل الخلاف . وهذه المرجعية تتمثل في : القرآن والسنة. يقول:

«المسلمون يتفقون جميعًا على هذا الكتاب الموجود الآن بين المسلمين، ويعتبرونه وحيًا نازلًا على الرسول الكريم بنصّه دون زيادة أو نقيصة.

ولا قيمة طبعًا لما يُنسب إلى الشيعة من القول بتحريف القرآن. فهي نسبة باطلة وغيرصحيحة، وآراء علماء الشيعة منذ الصدرالأول وحتى عصرنا الراهن هي الاعتقاد بسلامة النص القرآني من أي تحريف. وهذا هو الرأي السائد.

إذن هناك اتفاق على الرجوع إلى القرآن الكريم، وهكذا بالنسبة للسنة النبويّة. كل المسلمين بكل مذاهبهم يعتقدون بأن

ماجاء عن الرسول الكريم حجة لايمكن لأي شخص أن يجتهد أمامه. مذهب أهل البيت يركزعلى هذه المرجعية، مرجعية القرآن والسنّة. وقد بيّنا أهمية هذه المرجعية في بحثنا عن : التفسيرعند أهل البيت» (مقابلة/ ٣٩).

ولا يفوت السيد الحكيم وهو يتحدث عن مرجعية القرآن والسنة أن يبين أسلوب الرجوع إلى القرآن والسنّة، حتى لاتكون هذه المرجعية عامل خلاف كما حدث في التاريخ. فيؤكد على ضرورة التتلمذ على القرآن والسنّة. أي أن يأتي المسلم إليها تلميذًا لا معلّمًا، مستفتيًا لا مفتيًا، خاليًا من المواقف المسبقة، لا أن يحاول تبريرمواقفه المسبقة بآية أو حديث. يقول:

«عندما يختلف المسلمون في رأي من الآراء، فليرجعوا إلى المتفق عليه بينهم وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، دون اتخاذ موقف تفسيري مسبق تجاه القرآن والسنّة يناصر رأي هذا المذهب أو ذاك» (مقابلة/ ٣٩).

ثم يذكرالسيد الحكيم ملاحظة بصورة عابرة على غاية من الأهميّة هي أن رسول الله (ص) وضع للناس المرجعيّة ووضع الضمان لعدم الاختلاف في العودة إلى هذه المرجعيّة وهو «أهل البيت». من هنا فإن السيد الحكيم يفهم «الثقلين» بأنهم السبيل الصحيح لفهم القرآن والسنّة، وأن ماحدث من خلاف بين المسلمين في فهم هذه المرجعيّة الرسالية إنّما هو بسبب عدم التزامهم بهذا الضمان الذي

ركّزعليه النبي الأعظم في مناسبات متعددة ومنها حجة الوداع التي أوصى فيها بأهم أسس استمرارالمسيرة الإسلامية على نهجها الصحيح.

يقول: «ولقد اهتمّ رسول الله(ص) بهذا الأمر(أي بأمرالأسلوب الصحيح في العودة إلى مرجعية القرآن والسنّة) حين وقف ينصح المسلمين في حجة الوداع بعدّة أمور كان من جملتها نصيحتهم بالعودة إلى الثقلين».

وهذا الفهم لدورالثقلين في توحيد المسلمين و إبعادهم عن الاختلاف نجده عند كبارالعلماء من السنة والشيعة، وأشيرعلى سبيل المثال إلى «محمد بن عبد الكريم الشهرستاني» في كتاب *مفاتيح الأسرارومصابيح الأبرار*فهو يرى أن كل ما أصاب المسلمين من تفرّق في الفروع والأصول إنّما يعود إلى ابتعادهم عن الرجوع إلى الثقلين[1].

ب – المعالجة الأخلاقية للخلاف

وأقصد بالمعالجة الأخلاقية الالتزام بأدب الاختلاف وأدب الحوار بين المختلفين، وكتب المهتمون بتوحيد المسلمين في هذا المجال[2].

---

١ - انظر: مفاتيح الاسرارومصابيح الأبرار، وما كتبه محقق الكتاب في مقدمته على هذا التفسيربشأن رأي الشهرستاني في أهل البيت، الجزء الاول، مركز إحياء التراث المخطوط، طهران، ط ١.

٢ - منهم الدكتورطه جابرالعلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

وبينوا موقف النبي(ص) والصحابة والتابعين وأئمة أهل البيت من الرأي الآخر.

يقول السيد الحكيم في هذا المجال:

«لابد أن تسود الحالة العلمية في المواقف والحواربين العلماء، نعم، الاختلاف طبيعي، والدفاع عن الرأي والاستدلال على صحته حقّ لكل عالم، وردّ الرأي الآخرباستدلال علميّ حق أيضًا. ولكن تارة يكون الردّ بروح الاتهام والتحامل، وتارة يكون بروح احترام رأي الطرف الآخروأفكاره» (مقابلة/ ٣٩).

ويرى السيد الحكيم أن العالم الحقّ هو الذي يستهدف كشف الحقيقة، ويهمّه الوصول إلى النتيجة، أيًا كانت النتيجة، حتى ولو كانت مخالفة لفرضياته. وهذا هو السائد في حقل العلوم التجريبية والفكرية والثقافية. من هنا يدعو السيد الحكيم إلى أن ينتهج علماء المذاهب نفس المنهج المعرفي في دراسات العلوم الأخرى يقول:

«يجب أن يكون تبادل الأفكاروالآراء والمناقشات بين علماء المذاهب تمامًا كما هو الحال بين علماء العلوم التجريبية والفكرية والثقافية، حيث يكون ردّ العالم على الآخرغالبًا بروح الاحترام للرأي الآخر، باعتبارأنه يردّ على جهة علمية بذلت جهودًا حتى توصلت إلى هذا الرأي.

بنفس هذا النَفَس من الاحترام المتبادل يجب أن يسيرالحواربين علماء المذاهب، إذا شاؤوا التقريب بينهم» (مقابلة/ ٣٩).

ج ـ المعالجة النفسية في دائرة التقريب

لا نبالغ إذا قلنا إن أسباب الخلاف بين المسلمين يعود في معظمة إلى عامل نفسي. فالحالة النفسية في عالمنا الإسلامي هي على العموم بائسة. الإنسان المسلم غالبًا يشعربالضعف والدونيّة أمام جبروت الغرب، كما أنه يفتقد الأمل غالبًا في مستقبل أفضل، ولا يشعربعزّة في هويته وشخصيته وانتمائه الديني والوطني والقومي. وهذه الحالة لها إفرازاتها في الحياة العملية. وأهم هذه الإفرازات فيما يرتبط بالتقريب هوأن يبحث كل فرد وكل جماعة عن سبيل لإثبات شخصيته بسبل موهومة، وهذا التمترس وراء الدفاع عن هذه الطائفة أوالهجوم على هذه الطائفة بالأساليب العنيفة المعروفة إنّما هوإفرازللحالة النفسية السائدة.

الحالة الطائفية إذن وليدة حالة ركود ثقافي وحضاري لايمكن إزالتها إلاّ باستئناف حركتنا الحضارية. ولكن بقدرما يتعلق بالتقريب لابدّ من معالجتها للتخفيف من حدّتها والتقليل من تبعاتها. ويقترح السيد الحكيم في هذا المجال مايلي:

١ـ طرح الهموم الكبيرة، وهذه العملية من شأنها أن ترفع التطلعات والأهداف إلى مستوى رفيع بحيث تصغرالخلافات الجانبية. لأن الصغائرتكبرعادة في جوّالهموم الصغيرة والأهداف الصغيرة. ولهذا نرى الطائفية تتضخم عادة في البيئات التي تعيش هموم متاع الحياة الدنيا، وتتضاءل تلقائيًا عند الرساليين. ولقد رأينا

أثر الصحوة الإسلامية في التقريب المذهبي كما رأينا آثار كتابي *اقتصادنا* و*فلسفتنا* في التقريب المذهبي رغم أنهما لم يعالجا خلافات مذهبية، بل طرحا أهدافًا رسالية كبرى تتعلق بالكون والحياة من وجهة نظر الإسلام، كما رأينا أثر انتصار الثورة الإسلامية في التقريب المذهبي خاصة خلال السنوات الأولى، لأنها طرحت المشروع الإسلامي للحياة على الساحة العملية [1].

يقول السيد الحكيم في هذا الصدد:

«لابدّ ـ من أجل التقريب بين المسلمين ـ من وضع القضايا الهامّة في رأس قائمة الاهتمامات والمناقشات . وسيكون ذلك عاملًا على التقريب بل على الوحدة. لأن القضايا مهما كبرت فإن الاتفاق بشأنها يكبر أيضًا. وكلما دخلنا في التفاصيل والجزئيات أكثر اتجهنا إلى الهامش أكثر» (مقابلة/ ٤١).

٢ـ التأكيد على المشتركات، فالحالة النفسية البائسة تنبش في الاختلافات من أجل أن تخلق حالة تبريرية للتناطح والاصطدام. والتأكيد على المشتركات يخفّف من تضخّم الخلافات في النفوس. ومن هنا فإن التقريبيين مدعوون لأن يشدّوا الأنظار إلى المشتركات في العقيدة وفي الفقه وفي الآمال والتحديات . يقول

---

١ - انظر: صدى الثورة الإسلامية في العالم الإسلامي: ناصر القفاري، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، القسم الثاني، ص ٢٢٩ ومابعدها، ط ٣، السعودية، ١٤٢٤ فهو رغم نزعته الطائفية المتعصبة يذكر الروح التقريبية التي سادت في العالم الإسلامية بعد الثورة.

السيد الحكيم في هذا الصدد: « صحيح أن هناك اختلافًا بين المذاهب الإسلامية في مختلف المجالات، ولكن الاشتراك بينها هو أكثروأهم مما به الاختلاف. المهم التوجّه والاهتمام.. تارة يكون نحو المشتركات، وتارة يكون نحو إبرازالخلافات و إثارة النزاعات. نقاط الاتفاق بين مذاهب المسلمين مهمة جدًا، تعبّرعن وحدة الأمة الإسلامية وعن هويتها وشخصيتها، فهم يحجون جميعًا حجًا واحدًا، ويقفون على صعيد مشاعرواحدة، وهذه نعمة كبيرة من نعم الله على الأمة الإسلامية. وهكذا الصلوات الخمسة قد اتفق عليها المسلمون، وصوم شهررمضان، وغيرها مما لا يحصى من المسائل الرئيسية المتفق عليها بين المسلمين. ولابد من إبرازمواضع الاتفاق هذه باعتبارها أساسًا من أسس التقريب». (مقابلة/ ٤٠).

وبشأن التأكيد على التحديات المشتركة يقول:

«فالاختلاف هنا يعني ضعف الأمة وتمزقها وهيمنة أعدائها عليها. لذلك أعتقد أن من أهم أسس التقريب توحيد موقف المسلمين تجاه القضايا الرئيسية والمركزية. والتوحيد في موقف المسلمين مطلوب في المجالات السياسية وفي المواقف الاجتماعية، كما حدث بالفعل ضمن إطارالمؤتمرات التي عقدت أخيرًا لمعالجة المشاكل الاجتماعية مثل مؤتمرالقاهرة ومؤتمربكين ومؤتمرفينا، وكل هذه المؤتمرات عالجت مسائل حساسة هامة مثل مسائل الأسرة والمرأة. والمسلمون مطالبون باتخاذ موقف موحّد تجاه هذه القضايا. وهو

عامل على تقريب المسلمين بكافة مذاهبهم وعلى وحدة الأمة» (مقابلة/ ٤١).

د – عقد الأمل على مستقبل التقريب

والأمل عنصر مهم من عناصر استمرار المسيرة. وحين يرى الإنسان وضع العالم الإسلامي ومافيه من أحداث طائفية تتكرر باستمرار على شكل مناوشات كلامية وتراشق بالتهم والتكفير، بل ويبلغ الأمر أن تسفك الدماء وتزهق الأرواح في المساجد والمجالس الدينية بدوافع طائفية.. حين يرى هذه الأحداث ويرى معاول الهدم تفعل فعلها باستمرار وبجدّ واجتهاد لتركيز الحالة الطائفية، يكاد يساوره اليأس من إمكان نجاح دعوة التقريب ومواصلة مسيرتها. لكن دعاة التقريب ينظرون إلى الزوايا المضيئة التي تبعث الأمل في نفوس التقريبيين، وأعتقد أن السيد الحكيم فكر في هذا الأمر طويلًا، إذ ما إن سألناه عن إمكان نجاح جهود التقريب في العالم الإسلامي الذي تكاثرت فيه معاول التخريب الداخلية والخارجية، راح يعدّد الجوانب المضيئة من الطريق، ويتفاءل بمستقبل واعد للتقريب ومن النقاط التي أشار إليها:

١ــ« السنة التاريخية التي تحكم حركة التاريخ والمجتمع الإنساني، هذه السنة تقول: إن الحق يعلو لا محالة، وأن الباطل زاهق لا محالة. وقضية تقريب المذاهب ووحدة المسلمين هي قضية حقة، ولابد أن تنتصر في حركة السنن التاريخية والكونية التي تحكم

حركة الإنسان وحركة المجتمع الإنساني. إنها مسألة غيبية نؤمن بها، وركز عليها القرآن في مواضع كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا﴾، ومنها قوله سبحانه: ﴿فأما الزبد فيذه جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾.» (مقابلة/ ٤٢).

٢- «القضية الأخرى التي يجب أخذها بنظر الاعتبار هي وجود هذا الكيان المبارك القائم على الساحة الدولية اليوم المتمثل بالجمهورية الإسلامية، فقضية التقريب وقضية الوحدة الإسلامية أصبح لها أم وأب يرعيانها، ويهتمان بها ويتبنيانها. والدولة الإسلامية المباركة لها وجود كبير على الساحة الدولية، وتتبنّى أسسًا راسخة قوية في العقيدة التوحيدية، وتنطوي على معنويات عالية مدعومة بتضحيات غالية ودماء زكية. وهذه الدولة اليوم تشكل رصيدًا هامًا لوحدة المسلمين، لأنها تطالب بعزم و إصرار على استعادة عزة المسلمين وكرامتهم، وماضاع حق وراءه مطالب. وهي مسألة هامة جدًا يجب أن نأخذها بنظر الاعتبار في تقويم مستقبل حركة التقريب» (مقابلة/ ٤٣).

٣- «الأمر الثالث الذي يمكن أن يذكر في هذا الصدد هو أن الوعي الإسلامي العام الموجود لدى الأمة الإسلامية حقيقة لايمكن أن ينكرها أحد، هناك صحوة إسلامية، هناك وعي عام قائم لدى الأمة الإسلامية. هناك اهتمام لدى الأمة في العودة إلى الله، والعودة

إلى الهوية والشخصية الإسلامية، والالتزام بما أمر الله سبحانه به. وهذا الوعي يوحّد بين فصائل المسلمين ويوجّه عواطفهم واهتمامهم نحو هدف واحد» (مقابلة/ ٤٣).

٤- «الأمر الرابع في هذا الموضوع هو التطور العلمي والتقني الذي يمكن أن يساهم مساهمة كبيرة جدًا في تحقيق هذا التقريب. حيث أنني قلت: إن أحد أسس التقريب هو التفتيش عن حقائق كل مذهب. ووجود هذا التطور الكبير في وسائل الارتباطات ونقل المعلومات يوفّر فرصة كبيرة للكشف عن هذه الحقائق ومعرفتها» (مقابلة/ ٤٣).

٥- «والأمر الخامس، هو التطور في الجانب الإنساني على الساحة العالمية. رغم أن السلوك العام شهد عالميًا تدهورًا وتدنيًا في الجانب الاخلاقي، إذ ازداد الظلم والعدوان والتجاوز وبلغ حدًا كبيرًا، وشكلًا مفزعًا استخدمت فيه الأسلحة الكيمياوية والنووية الفتاكة. رغم ذلك فهذا التدهور مقرون بتطور ونمو وتكامل في الرؤية للقضية الأخلاقية، بما يعبّر عنه بحقوق الإنسان والإحساس بضرورة الدفاع عن هذا الحق، وهذه الظاهرة سنة طبيعية تحتاج إلى حديث عن حركة التاريخ والمجتمع . فهناك دائمًا حالة توازن بين التدهور الأخلاقي والوعي الأخلاقي، تؤدي إلى انفجار تغييري نسميه الثورة والتغيير الجذري، ونحن اليوم نشاهد أيضا تدهورًا في الحالة السلوكية العالمية، و إلى جانبها تطورًا في الناحية النظرية، وفي الوعي

على الحالة الأخلاقية، فيما يرتبط بحقوق الإنسان، والرأي المتبادل، وقضايا الحرية وقضايا التفاهم والتعارف، وغيرها من الأمور التي يمكن أن تكون عاملًا مساعدًا في خدمة التقريب وقضية وحدة الإنسانية. ولذلك نشاهد الآن كثيرًا من المشاريع الوحدوية المطروحة في العالم على المستوى الإقليمي والعالمي، نتيجة وجود الوعي في هذا الاتجاه» (مقابلة/ ٤٤).

٦- «والنقطة السادسة والمهمة في تصوري هي حاجة الأمة الإسلامية اليوم إلى التقريب والوحدة. فالأمة تعيش صراعًا مصيريًا، والتقريب والوحدة من العناصر الهامة في كسب المعركة في هذا الصراع المصيري. والحاجة ـ كما يقولون ـ أمّ الاختراع. عند الإحساس بالحاجة الحقيقية للوحدة والتقريب ستتحرك الامة لسدّ حاجتها. ولذلك فإن الفرص كبيرة لنجاح مشروع التقريب ونجاح أطروحة التقريب بين المذاهب ووحدة الأمة. من هنا نجد أن الأصوات الداعية للتقريب هي الأقوى، والأصوات الداعية إلى الاختلاف والتمسك بالفرعيات والتشبث بالجزئيات أصبحت هي الأصوات الخافتة، وأضحت هذه الأصوات السلبية تتحدث بطريقة ملتوية بعيدة عن الواقع، تحاول أن تخفي حقيقة مواقفها.. تحاول أن تتخذ موقف النفاق.. وحالة النفاق تعبر عن بداية الانتصار. عندما يبدأ الحق بالانتصار والباطل بالانهزام، يعلن الباطل عن نفسه أولا بشكل واضح ويدخل في الصراع، وعندما يمنى بالهزيمة يحاول أن يدخل

في حالة النفاق. وهذه الحالة مشهودة في بداية الدعوة الإسلامية، وفي تاريخنا المعاصر إبان الثورة الإسلامية، حيث كان العلمانيون والملاحدة والمنحرفون والمرتدون يواجهون الثورة علنيًا في البداية. وعندما هُزموا أخذوا يواجهونها بطريقة نفاقية. على أي حال، الإحساس بالحاجة الماسة بين المسلمين للتقريب هي بذاتها عامل على فتح الطريق لتحقيق هذا الهدف» (مقابلة/ ٤٥).

قضية التقريب وقضية الوحدة الإسلامية أصبح لها أم وأب يرعيانها، ويهتمان بها ويتبنيانها. والدولة الإسلامية المباركة لها وجود كبير على الساحة الدولية، وتتبنّى أسسًا راسخة قوية في العقيدة التوحيدية، وتنطوي على معنويات عالية مدعومة بتضحيات غالية ودماء زكية. وهذه الدولة اليوم تشكل رصيدًا هامًا لوحدة المسلمين، لأنها تطالب بعزم و إصرار على استعادة عزة المسلمين وكرامتهم، وماضاع حق وراءه مطالب. وهي مسألة هامة جدًا يجب أن نأخذها بنظر الاعتبار في تقويم مستقبل حركة التقريب».

الشهيد محمد باقر الحكيم

ارتباط التشيع بالتقريب[1]

في رؤية السيد الحكيم

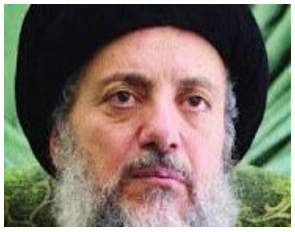

من المحاورالتي أكد عليها السيد الشهيد الحكيم في خطابه التقريبي هو إبراز التوجه التقريبي في مدرسة أهل بيت رسول الله(ص). لقد أكد هذا في كتابه: *الوحدة الإسلامية من منظورالثقلين* وفي ثنايا دراساته ومقابلاته المختلفة. وينهج في بيانه الأسلوب النظري، وبيان المواقف العملية.

أحسب أن السيد الحكيم كان يريد من هذا التركيزعلى التقريب في مدرسة آل البيت أمرين:

الاول ـأن يقول للشيعي أنّ التقريب هدف أساسي من أهداف مدرسة أهل البيت، فإذا كنتَ من أتباع مدرسة أهل البيت حقيقة فعليك أن تكون من دعاة التقريب المذهبي، وهو بذلك يردّ على أولئك الذين يتخذون مواقف معادية من التقريب تحت لافتة الولاء

---

١ - اعتمدنا في استخلاص هذه الأسس أيضاً على مقابلة هامة أجراها الكاتب مع السيد الشهيد عام ١٤١٧هـ ونُشرت في العدد ١١ من مجلة «رسالة التقريب» الصادرة من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، وأُشيرإليها في المتن بعبارة (مقابلة).

لأهل بيت رسول الله(ص) . ويعملون على إثارة الفرقة والحزازات بين المسلمين تحت عنوان التولّي والتبرّي.

والثاني ـ أن يقول للسنّي أن دعوة التقريب في مدرسة أهل البيت هي دعوة مبدئية قائمة على أساس وجوب حفظ وحدة المسلمين، لأن حفظ وحدة المسلمين مقدمة واجبة لحفظ عزّتهم وكرامتهم ووجودهم . والتقية ـ لو فُهمت فهمًا صحيحًا ـ ليست سوى اتخاذ مايلزم لصيانة وحدة المسلمين واتقاء مايفرقهم، ولا تقتصر على مسائل حفظ النفس.

يقول السيد الحكيم:

«أنا أعتقد أن قضية التقريب في نظرية أهل البيت قضية أساسية ورئيسية. وواجب من الواجبات الشرعية. وأول من رفع شعار التقريب بين المسلمين هم أهل البيت. ولم يرفعوه شعارًا يتحدثون عنه فحسب، بل جسدوه أيضًا حالة عملية وخارجة وتطبيقية، وقدموا على طريقه تضحيات كبيرة جدًا على المستوى الشخصي لهم وعلى مستوى الجماعة والفئة التابعة لهم والملتزمة بسلوكهم ومسيرتهم. ولقد تحدثت عن مواقفهم هذه في كتاب: *الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين*. وهناك مجموعة من المبادئ الرئيسية المعروفة لدى مذهب أهل البيت تجسّد هذه الحالة مثل مبدأ التقية. هذا المبدأ هو مبدأ تقريبي، ولو طالعنا نصوصه مطالعة واعية لوجدنا أنه لا يقتصر على الجانب الأمني بل يشمل أيضًا البعد التقريبي، والبعد الوحدوي

وهو بُعد مهم غفل عنه كثير من الباحثين. وأشرت في كتابي المذكور إلى نصوص التقية التي تكرّس هذا البعد التقريبي الوحدوي.

وثمة مبدأ آخر غفل عنه كثير من الباحثين هو مبدأ التعايش بين المسلمين. وقد نادى أهل البيت(ع) بهذا المبدأ وهو من خصائص مدرستهم. هناك تيارات الخوارج وتيارات الجهاز الحاكم وتيارات الانتهازيين وتيارات الثوريين المنتسبين لأهل البيت(ع) مثل الزيدية الذي تبناه بعد ذلك الحسنيون بعد زيد وأولاده. وتمتاز مدرسة أهل البيت بين كل هذه التيارات بدعوتها إلى مبدأ التعايش السلمي بين المسلمين. ونرى مصاديق هذا المبدأ في دعوة أهل البيت للاشتراك في صلوات الجماعة وزيارة المرضى والاهتمام بالأمور الاجتماعية مثل تشييع الجنائز والوفاء بالعقود وغيرها من المسائل التي دعوا المسلمين جميعًا إليها، من أجل أن يؤكدوا مسألة التعايش.

وهذا مبدأ مهم لم يدرس بشكل كامل مع الأسف في أبحاثنا السياسية والاجتماعية.

لقد تبنّى أمير المؤمنين(ع) مبدأ الحرية السياسية ومبدأ التعددية السياسية في المجتمع الإسلامي، وهو تبنّ فريد يمتاز به عن بقية الحكام. وظل أهل البيت يتبنون هذا الرأي. وهي ظاهرة سياسية مهمة. فالإمام يعتقد أن الخوارج على خطأ، وأن الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة على خطأ في موقفهم، لكنه لم يتخذ موقفًا قمعيًا

لإسكاتهم، و إنما ترك لهم الحرية في أن يتحركوا. وكان يكتفي بإدانة مواقفهم. وبقوا يتحركون حتى رفعوا السلاح بوجه الإمام علي(ع). عندئذ لجأ إلى مايحافظ على وحدة المسلمين. وأئمة أهل البيت تبنوا أيضا مقولة: «لاستسلمنّ ماسلمت أمورالمسلمين ولم يكن الجورالا علىّ خاصة». وهي مقولة ذات دلائل وحدوية. وهذه هي مبادئ التشيع وأفكاره. وفي تاريخنا القديم والحديث صور كثيرة تعبّرعن الموقف العملي لهذه الحالة الوحدوية» (مقابلة/٤٦).

ويرى السيد الحكيم أن مدرسة أهل البيت كانت في مواقفها العملية على مرّالتأريخ تتخذ المواقف العملية المجسّدة لمبدأ التقريب، والعصرالحديث شهد استمرارهذه المواقف.

والواقع أن الحوزة العلمية في مدينة قم كان لها مواقف رائدة في هذا المجال في العصرالحديث، وخاصة في زمن زعامة آية الله البروجردي، فمواقفه النظرية والعملية ومنهجه الدراسي والعلمي كان يقوم على أساس تحرّي مسائل الخلاف، و إزالة ماعلق في الأذهان من أوهام، والتأكيد على الجانب العملي في التعاون بين المسلمين. أما النجف الأشرف فحاول بعضهم أن يراها متخلّفة عن ركب التقريب ويرى أن خطابها المذهبي يغلب على خطابها الإسلامي، فيتصدّى السيد الحكيم لهذه الشبهة ويعدّد المواقف المعاصرة لحوزة النجف من القضايا الإسلامية مؤكدًا أنها كانت تضع القضايا الإسلامية الكبرى نصب عينيها في مواقفها، دون أن

يغلب عليها الاتجاه المذهبي، ومما يذكره -رضوان الله عليه- في هذا المجال:

١- «الموقف من دخول الإنجليز إلى العراق، فالعراق هو البلد الوحيد الذي اجتمع فيه المسلمون جميعًا لمواجهة الغزو البريطاني. وقاد هذه المواجهة العلماء في العراق. فأصدر علماء النجف فتوى الجهاد ضد الإنجليز، ووقفوا إلى جانب الدولة العثمانية لصدّ هذا الغزو. على أن الدولة العثمانية كانت تتبنى مواقف مذهبية متشددة قمعية تجاه غير أتباع المذهب الحنفي، من أجل فرض هذا المذهب على كل المسلمين. بالرغم من ذلك وقف علماء النجف هذا المواقف الوحدوية» (مقابلة/ ٤٧).

٢- «وهكذا الأمر في ثورة العشرين، نجد أن الشعار المطروح هو إخراج البريطانيين من العراق، دون التفكير في البديل الحاكم، هل سيكون سنيًا أم شيعيًا. بل إن علماء النجف ذهبوا وجاءوا بحاكم سنّي من الحجاز.. علماء النجف وشيعة العراق هم الذين قاتلوا، وهم الذين قدموا التضحيات، ولكن كان همهم الأول الإسلام، ولم يكن لهم هم طائفي مذهبي. ولذلك اختاروا حاكمًا سنيًا على شرط أن يحكم بالإسلام، وحينما نقض هذا الحاكم مبادئ الإسلام نهضوا بوجهه بدافع إسلامي أيضًا» (مقابلة/ ٤٧).

٣- «وفي الحرب العالمية الثانية كان للمرجعية موقف معروف في مساندتها للحركة الوطنية الرامية لتحرير العراق من الهيمنة

البريطانية، فقد وقف السيد أبو الحسن الإصفهاني إلى جانب الثوار من أجل الإطاحة بالسلطة العميلة للبريطانيين» (مقابلة/ ٤٧).

٤- «وموقف علماء النجف من حركة الإلحاد في العراق معروفة، فقد وقفوا بوجه التيار الشيوعي واليساري الذي حاول أن يهيمن على مقدرات العراق. وعلماء النجف قدموا في سبيل ذلك تضحيات جسيمة، رغم أن الظروف السياسية كانت تفرض أن لا يقفوا هذا الموقف، بل يحصلوا على مكاسب في العهد الجمهوري بعد عهود من الاضطهاد الطائفي. فالعهد الجمهوري يمثل انفراجًا للوضع الطائفي في البلد. وأعطى فرصة للشيعة كي يكونوا في جهاز الحكم وفي الأوساط العسكرية والاقتصادية، لكن علماء النجف وقفوا ضد نظام عبد الكريم قاسم المساند لتيار الإلحاد، بل وقفوا ضد هذه الحالة من الانفراج، ليحققوا مكسب وحدة المسلمين في مواجهة تيار الإلحاد الشيوعي» (مقابلة/ ٤٨).

٥- «وموقف علماء النجف من قضية أكراد العراق وهم من أهل السنة واضح، فقد أصدر العلماء فتوى تحريم سفك دماء الأكراد، وتحريم أي عدوان عليهم. بينما وقف علماء السلطة ضد الأكراد. علماء الشيعة وقفوا إلى جانب صيانة دم الأكراد وأعراضهم، بينما وقف علماء السلطة إلى جانب العمليات القمعية ضد الأكراد» (مقابلة/٤٨).

٦- «أضف إلى كل ماتقدم موقف علماء النجف من قضية

فلسطين . فقد واصلوا هذا الموقف في كل مراحل القضية، وأفتوا بجوازإنفاق الاموال والحقوق الشرعية لمناصرة العمل الفدائي ضد الصهاينة. ولايزال هذا الموقف المبدئي من هذه القضية ومناصرتها قائمًا حتى اليوم» (مقابلة/ ٤٨).

٧- «ثم إن موقف علماء النجف من الاشتراكية المعلنة في العراق قد جسد مبدأيتهم في عدم الانجراف نحو الشرق ولا نحو الغرب. فقد وقفوا بوجه التيارالاشتراكي الذي أريد له أن يكون بديلا للتيارالعلماني الديمقراطي، مؤكدين رساليتهم في هذا الموقف. ودخلوا في صراع كبيرلم يدخله غيرهم» (مقابلة/ ٤٨).

٨- «وفي حقل التقريب بين المذاهب، بذلت جهود كبيرة في النجف الأشرف لطرح ثقافة التقريب، ولتأليف الكتب الدراسية التقريبية، ولجعل مادة الفقه المقارن مادة دراسية في الحوزات العلمية. وهذا ماحدث في النجف لأول مرة، حيث أصبح كتاب: *الاصول العامة للفقه المقارن*، للسيد محمد تقي الحكيم كتابًا دراسيًا في النجف وفي كلية أصول الدين ببغداد، هذه الكلية التي كانت برعاية المرجعية الدينية. ولقد شهد تاريخ الحوزة العلمية في النجف قديمًا وحديثًا تأليف مثل هذه الكتب الفقهية المقارنة مثل كتاب *تحريرالمجلة* للمرحوم الإمام الشيخ كاشف الغطاء في أيام الحكم العثماني. ومن قبل ألف الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه كتاب *الخلاف*، والعلامة الحلي، وهو من علماء مدرسة

النجف، ألّف كتاب *التذكرة* وكتاب *المختلف* وهكذا حتى عصرنا هذا، دأب العلماء في النجف على السير على هذه النهج التقريبي ونهج توحيد المسلمين» (مقابلة/٤٩).

٩- «وهناك نشاطات لدى علماء النجف من أجل إقامة علاقات مع علماء الأزهر الشريف، وخاصة شيوخ الأزهر، وكان من نتائج تلك النشاطات التقريبية أن أصدر المرحوم الشيخ شلتوت شيخ الأزهر فتواه المعروفة.

طبعًا كان لسماحة آية الله العظمى السيد البروجردي (رحمه الله) . في قم مسعى خاص في هذا المجال، ولكن التطورات السياسية في إيران والعراق أدت إلى أن تتواصل جهود التقريب مع الأزهر عبر علماء العراق. ولا بأس أن تعرفوا أن فتوى الشيخ شلتوت صدرت في زمن عبد الناصر، وكانت علاقات عبد الناصر بنظام الحكم في إيران آنذاك متوترة . بينما كانت حوزة النجف تخوض آنذاك حربًا مريرة ضد الشيوعيين ممّا قرّب الحوزة العلمية في النجف من سائر علماء الإسلام وخاصة علماء الأزهر. ولا بأس أن أذكر شاهدًا يمكن أن يعتبر مصداقًا لهذا التقارب الذي حدث آنئذ، حين اعترف نظام الشاه باسرائيل، وفتح الكيان الصهيوني مكتبًا له في طهران أرسل شيخ الأزهر الشيخ شلتوت برقية إلى الإمام السيد الحكيم رضوان الله تعالى عليه، وأصدر الإمام الحكيم على أثر ذلك استنكارًا على ما أقدم عليه نظام الشاه» (مقابلة/ ٤٩).

١٠- «ومن اهتمامات مرجعية النجف في حقل التقريب، إرسال مصادر كتب الشيعة الهامة إلى المكتبات المركزية في مصرولبنان وسوريا والسودان وغيرها من البلدان الإسلامية» (مقابلة/ ٥٠).

١١- «ومن اهتمامات علماء النجف في حقل التقريب حضور المؤتمرات العلمية التي عقدت في القاهرة ومراكش وتونس واللقاء فيها بعلماء المسلمين والمفكرين من جميع أرجاء العالم الإسلامي. وكان التمثيل على أعلى المستويات العلمية، حضربعض هذه المؤتمرات المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر، وحضربعضها السيد محمد تقي الحكيم» (مقابلة/٥٠).

١٢- «وهناك بُعد آخرمن هذه النشاطات التقريبية يتمثل في إقامة علاقات بين الكليات والمعاهد العلمية الدينية في النجف الأشرف وبغداد والكليات المماثلة في العالم الإسلامي، أهمها كليات الشريعة في القاهرة. وكان للسيد محمد تقي الحكيم والعلامة السيد مرتضى العسكري نشاط خاص ومساع جادة في مجال التقريب على هذا البعد» (مقابلة/ ٥٠).

مشاريع عملية تقريبية

في مسيرة السيد محمد باقر الحكيم[1]

لايكفي الإيمان بالتقريب على المستوى النظري، والسيد الحكيم إذ يبين إيمانه المبدئي بالتقريب يواجه سؤالاً عما فعله هو من مشاريع عملية في التقريب، يجيب هو على هذا السؤال ويعدّد نشاطاته التقريبية كما يلي:

١- «نشر ثقافة التقريب، فلا يمكن أن نقطع أية خطوة على طريق توحيد المسلمين دون أرضية ثقافية تحوّل قضية التقريب إلى ثقافة متبنّاة من قبل المسلمين بكافة مذاهبهم. وأعتقد أن أفضل إطار لنشر هذه الثقافة هو إطار أهل البيت(ع) بما كانت لهم من أفكار وآراء ونشاطات استهدفت توحيد صفوف المسلمين كما ألمعنا إليه سابقًا. ومن الواضح أن هذه النشاطات أثمرت عن عاطفة جيّاشة يحملها المسلمون في مختلف عصور التاريخ وحتى يومنا هذا تجاه

---

١ - اعتمدنا في استخلاص هذه المشاريع أيضًا على مقابلة هامة أجراها الكاتب مع السيد الشهيد عام ١٤١٧هـ ونُشرت في العدد ١١ من مجلة «رسالة التقريب» الصادرة من المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بطهران، وأُشير إليها في المتن بعبارة (مقابلة).

هذا البيت الكريم. وليس هناك مَنْ لَمْ يحمل هذه الحرمة وهذه العاطفة تجاه آل البيت من المسلمين سوى نفر قليل من النواصب عُرفوا ببغضهم لآل البيت، وهي حالة شاذّة، لم تدم طويلًا، فقد انقرض هؤلاء. جدير بالذكر أن أهل البيت عاشوا مجتمعًا مليئًا بالتناقضات الحادّة والصراعات التي تحولت أحيانًا إلى شكل مواجهة دموية كما حدث في واقعة كربلاء. ومع ذلك كان موقف آل البيت من هذا المجتمع موقف الدعوة إلى الوحدة والتآلف والتعايش والتعاون. مما جعل هذا البيت الكريم ينال كل هذه الحرمة بين المسلمين. حتى يزيد بن معاوية الذي ارتكب هذه الجريمة الشنعاء، ماكان يجرأ على الاستمرار بالتظاهر في عداء أهل البيت، بل أظهر بشكل وآخر ندمه على فعلته.

مما تقدّم نفهم أن أفضل طريق لجمع مودّة المسلمين على صعيد واحد هو تعريف أهل البيت للمسلمين بمضمونهم الفكري والثقافي والأخلاقي.

فإذا تمكنّا أن نعرض فكر أهل البيت وطريقتهم ومواقفهم وأخلاقهم في مختلف القضايا، فذلك أفضل طريق لتقريب المسلمين حول محور واحد. ولكن هذا لا يعني أن المسلمين جميعًا سيلتزمون بالضرورة بمدرسة آل البيت، بل يعني أنهم سيقفون جميعًا موقف الاحترام من المشروع المطروح. وعلى هذا الأساس قمت بعدة خطوات:

الأولى: تأليف كتب تعرض نظرية أهل البيت في المجالات الحساسة الهامة، من أجل نشرثقافة التقريب. من هذه الكتب: *الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق* فقد عرضت مضمون نظرية أهل البيت في الحكم على الصعيد النظري، ودرست التطبيق العملي الراهن لهذه النظرية في إطارالدولة الإسلامية القائمة في إيران. كما ألفت كتاب: *الوحدة الإسلامية من منظورالثقلين*. وهو على ما أعتقد من المؤلفات النادرة في موضوعه. وفيه حاولت أن أستخرج نظرية الإسلام في الوحدة مستنبطة من القرآن الكريم ومن السنة ومن أخبارأهل البيت» (مقابلة/ ٥١).

٢ـ «الاهتمام بالقرآن الكريم على مستوى التفسيرأو على مستوى الدراسات القرآنية، وهو اهتمام يصبّ في حقل التقريب، لأن القرآن الكريم موضع احترام واتفاق جميع المسلمين. وكلما ازداد الاهتمام بهذا المحورمن قبل جميع المسلمين ازداد تقاربهم وتفاهمهم. ولا بأس أن أشيرإلى أن مدارسنا وحوزاتنا العلمية، بسبب ظروف متعددة بعضها سياسية وبعضها اجتماعية وبعضها تنظيمية، لم تولِ الدراسات القرآنية الاهتمام اللازم. ومع أن علماء الشيعة ألفوا قديمًا وحديثًا أسفارًا هامة في التفسير، أذكرمنها في عصرنا الحديث *تفسيرالميزان*. لكن الاهتمام بالدراسات القرآنية ضمن مناهج الدراسة في الحوزة العلمية ضعيف. لذلك بذلت جهودًا خاصة في حقل القرآن في النجف الأشرف ومدرستها العلمية. فقد دونت دروسًا

في علوم القرآن وألقيت فيها محاضرات في المعاهد العلمية التي أسست لتنظيم دراسات الحوزة العلمية في النجف. وواصلت هذا العمل العلمي في إيران بعد الهجرة التي حدثت بسبب الظروف السياسية» (مقابلة/ ٥٢).

٢- «مساهمتي في المؤتمرات، فقد اشتركت في مؤتمرات عقدت لقضية فلسطين، ومؤتمرات الوحدة الإسلامية التي عقدت لدراسة مسائل التقريب، كما حضرت عددًا من المؤتمرات التي عقدت في أرجاء العالم الإسلامي» (مقابلة/ ٥٢).

٤- «عملي في مواسم الحج، حيث أن الإمام الحكيم أول من بادرلتأسيس بعثة حج دينية في موسم الحج في مكة المكرمة والمدينة المنورة وكنت مسؤول هذه البعثة لمدة تسع سنوات، وكانت البعثة تعمل في أوساط أتباع أهل البيت وأوساط عامة المسلمين» (مقابلة/ ٥٢).

٥- «المساهمة الجادّة في تأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وفي كل نشاطات هذا المجمع، وتقديم أطروحات علمية أعتقد أنها ـ لو نفذت ـ سوف تساهم مساهمة كبيرة في موضوع التقريب منها:

ـ أطروحة الروايات المشتركة بين السنة والشيعة، المروية عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. فهناك كمية كبيرة جدًا من هذه الروايات ذات مضامين رائعة هامة مشتركة بين الفريقين. و إصدارمؤلفات تضم هذه الروايات المشتركة سيجعل المسلمين

أمام واقع لم يعرفوه، وهم أنهم قريبون جدًا من بعضهم دون أن يعرفوا ذلك.

ـ وهكذا التأليف حول الرواة المشتركين، إذ هناك عدد كبير من الرواة المشتركين يعتمد عليهم أهل السنة والشيعة، والكشف عن هذه الحقيقة يساهم مساهمة جادّة في التقريب لأنه يوضح للمسلمين بأنهم كانوا في السابق على وضع أفضل مما عليه في الوقت الراهن.

ـ وكذلك التوجه لتحقيق الأصول المعتمدة عند أهل السنة والشيعة معا تحقيقًا تقريبيًا. كأن يطبع *صحيح البخاري* وهو من صحاح أهل السنة بطريقة تقريبية، وذلك أن توضع في هامش الكتاب الروايات الواردة من طرق أهل البيت المتفقة مع روايات البخاري، أو تضاف إلى روايات البخاري تعليقات وشروح تقرب الرؤى تجاه هذه النصوص. وقد بدأ العمل بالفعل في تنفيذ هذه الاطروحات.

ـ على المستوى الفقهي كتاب ابن رشد مثلال وهو: *بداية المجتهد* من الكتب المعروفة لدى إخواننا أهل السنة: ويقوم المجمع الآن بتحقيق هذا الكتاب ووضع الفقه الشيعي إلى جانب مايعرضه ابن رشد» (المقابلة/ ٥٣).

٦- « المساهمة في تأسيس جامعة المذاهب الإسلاميّة على مستوى وضع المناهج وبيان الهيكلية وأمورالتنفيذ» (المقابلة/ ٥٣).

٧- «مجلة رسالة التقريب أعطيت من وقتي لمتابعة إصدارها

والإشراف على موضوعاتها. وهي مجلة رائدة في مجال التقريب آمل أن تتطور أكثر على طريق أداء رسالتها في المستقبل» (المقابلة/ ٥٤).

«هذا إلى جانب خطوات ومشاريع أخرى يطول الحديث عنها. ولابد من التأكيد على أن ماقمت به حتى الآن هو قليل بحق هذا الهدف الكبير والمشروع الكبير، ونسأل الله توفيق أداء المزيد من الأعمال الصالحة في هذا المجال» (المقابلة/ ٥٤).

في حقل التقريب بين المذاهب، بذلت جهود كبيرة في النجف الأشرف لطرح ثقافة التقريب، ولتأليف الكتب الدراسية التقريبية، ولجعل مادة الفقه المقارن مادة دراسية في الحوزات العلمية. وهذا ماحدث في النجف لأول مرة، حيث أصبح كتاب: *الاصول العامة للفقه المقارن*، للسيد محمد تقي الحكيم كتابًا دراسيًا في النجف وفي كلية أصول الدين ببغداد، هذه الكلية التي كانت برعاية المرجعية الدينية. ولقد شهد تاريخ الحوزة العلمية في النجف قديمًا وحديثًا تأليف مثل هذه الكتب الفقهية المقارنة مثل كتاب *تحرير المجلة* للمرحوم الإمام الشيخ كاشف الغطاء في أيام الحكم العثماني. ومن قبل ألف الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه كتاب *الخلاف*، والعلامة الحلي، وهو من علماء مدرسة النجف، ألّف كتاب *التذكرة* وكتاب *المختلف* وهكذا حتى عصرنا هذا، دأب العلماء في النجف على السير على هذه النهج التقريبي ونهج توحيد المسلمين.

الشهيد محمد باقرالحكيم

التفريق بين الدائرة السياسية والدائرة الشعبية في قضية الخلاف بين السنة والشيعة

على مرّ التاريخ تدخلت مصالح الحكم لإثارة النزاعات الطائفية. كثيرمن الحكام اضطهدوا السنّة باسم التشيّع، وأكثر منهم من اضطهد الشيعة باسم الدفاع عن أهل السنّة، والواقع أن مصالح الحكم هي التي أملت عليهم هذه المواقف. وهذه حقيقة يجب أن يفهمها أهل السنة والشيعة كي لا تستفزهم المواقف السياسية وتدفعهم لاتخاذ مواقف عدائية من هذا المذهب أو ذاك.

والسيد الحكيم إذ اكتوى بنارالطائفية التي أججها حكام العراق، يتخذ موقفًا صارمًا في التفريق بين الموقف السياسي والموقف الشعبي من هذه المسألة. يقول رحمه الله:

«العراق كما هو واضح له تاريخه الخاص وتركيبه الاجتماعي والثقافي الخاص، وهو بهذه الخصوصية يعتبرمن البلاد الفريدة في العالم الإسلامي، وأخذًا بنظرالاعتبارهذه الخصائص فإن نموذج التقريب لو نجح في العراق فسيكون له تأثير كبيرعلى كل العالم الإسلامي. هذا البلد نسب التقسيم المذهبي فيه تكاد تكون متقاربة، كما أنه ينطوي على التعددية القومية إضافة إلى التعددية المذهبية، أضف إلى ماسبق تاريخ العراق بما له من عراقة وماكانت له من مركزية في العالم الإسلامي، حيث كانت بغداد عاصمة

المسلمين السياسية، كما كانت الكوفة والبصرة عاصمتي المسلمين الفكرية، ومدرسة الكوفة بشكل خاص وتطورها إلى مدرسة النجف لها أهميتها الفائقة في تاريخ هذا البلد، ووجود مراقد أئمة آل البيت في العراق.. كل ذلك وقضايا أخرى تعطي لأرض الرافدين أهمية خاصة. ومن هنا كان العراق مستهدفًا أكثر من غيره في التآمر الاستعماري والهجوم الاستكباري. وعملية التفريق والتمزيق في العراق أريد منها تصوير حالة التمزق في جميع الأمة. والإنجليز كرسوا اهتمامهم في العراق بعد هيمنتهم عليه لإيجاد التفرقة المذهبية والطائفية بين أبناء الشعب العراقي، تمامًا كما فعلوا في شبه القارة الهندية، حيث أسفرت خططهم بين المذاهب والطوائف، بل حتى بين أبناء الطائفة الواحدة في شبه القارة الهندية إلى تمزّق فظيع. ولا تزال هذه الحالة قائمة حتى الآن، ويسقط جرّاؤها بين آونة وأخرى القتلى والضحايا باستمرار. نفس الشيء حاولوا تطبيقه في العراق. لكن علماء الإسلام في العراق، وخاصة علماء النجف وقفوا ضد هذا المخطط وأفشلوه على المستوى الشعبي.

ويمكن القول الآن أن العلاقات بين فصائل الأمة في العراق علاقات مودّة وأخوّة، حتى لم يعد الإنسان يشعر بوجود اختلافات طائفية بين أبناء الشعب. الشيعة يتزوجون من بنات أهل السنة. بل إن بعض العشائر العراقية تجد أبناء عشيرة واحدة نصفها من أهل السنة

ونصفها آخر ينتمي إلى مذهب أهل البيت. والمدن فيها اختلاط بين أبناء المذاهب. وكثير من المؤسسات الثقافية والمشاريع التجارية يشترك فيها أهل السنة وأهل الشيعة. وهكذا في مختلف المجالات نجد هذا الاشتراك موجودًا، وهذا التداخل قائمًا. ولايكاد الإنسان يشعر بوجود اختلاف.

أما على مستوى الحكومة فالأمر مختلف تمامًا مع الأسف. فالسياسات الحاكمة تقوم على أساس التفرقة المذهبية والطائفية. وتتطرف هذه السياسات أحيانًا إلى حدّ رفع شعار: لا شيعة بعد اليوم!! كما فعل النظام الحاكم الحالي[1] في العراق. فقد حاول هذا النظام أن يقضي على كلّ معالم أهل البيت في العراق. فقتل العلماء وألغى المؤسسات ومنع طباعة الكتب ونشرها. وأصدر قائمة في الكتب المحظورة تزيد على الألف كتابً، بينها كتب يعود تأليفها إلى أحد عشر قرنًا خلت مثل مؤلفات الشيخ الطوسي ومؤلفات الشيخ الصدوق. وتدخّل النظام في تفاصيل حياة الناس لإحداث الفجوة بين أبناء الشعب، وليثبت وجوده من خلال عملية التمزيق.

لقد حاولوا أن يستثيروا أبناء السنة في العراق، بل أبناء السنة في العالم الإسلامي ضدّ شيعة العراق بأساليب مختلفة، من أجل أن يعطوا الصراع فيه طابعًا مذهبيًا طائفيًا وكأنه صراع بين أهل السنة والشيعة. بعد أن فشل النظام في سياسته العلمانية الموجهة لكل

---

١ - حديث السيد الحكيم هذا كان قبل سقوط نظام صدام.

علماء الإسلام ولكل التراث الإسلامي حاول أن يعطي لحربه الظالمة ضد الإسلام والصحوة الإسلامية والتراث الإسلامي طابعا مذهبيًا.

لقد بذلنا جهودًا كبيرة من أجل فضح هذا المخطط، وأسفر ـ والحمد لله ـ عن انفضاح النظام. وأصبح الموقف الشعبي داخل العراق موحّدًا من النظام، فقد تبيّن أنه ليس سنيًا، بل ولا هو عراقي أصلًا. اتضح أنه يعادي الجميع ويبطش بالجميع لا يفرّق بين سنيّ وشيعي، بل إنه مستعد أن يبطش بأعضاء الحزب، وأن الحاكم الطاغي يبطش حتى بأولاده وأصهاره وأقرب الناس إليه من أجل أن يبقى على الحكم، وجهودنا في هذا المجال امتدت إلى العالم الإسلامي لتوضيح هذه الحقائق. لقد احترقت ورقته الطائفية بعد أن حاول أن يلعب بها زمنًا، كما حاول أن يلعب بالورقة القومية في حربه ضد الجمهورية الإسلامية بأن يعطي الحرب حالة صراع بين العرب والفرس. لقد انكشفت كل الأوراق والحمد لله رب العالمين، وأصبحت طبيعة النظام واضحة في الداخل والخارج، ولانزال نبذل الجهود في هذا المجال»(المقابلة المذكورة في المقالات السابقة).

مقاربات في البُعد الأخلاقي
لخطاب الشهيد محمد باقر الحكيم

مشتاق عبّاس معن *

حاول شهيد المحراب أن يقدّم منهجية متكاملة لتنظيم حياة المسلم؛ بغية إيصاله إلى طريق المعرفة الحقة، من خلال تنفيذ مطاليب النظرية الإسلامية، إذ لا تكاد تفتقد هذا المصطلح ـ أعني (النظرية الإسلامية) ـ في معظم صفحات مؤلفات شهيد المحراب؛ ذلك أنه حاول ترتيبها، بحيث تستوعب مرافق الحياة عامة؛ لذا لا تجده يفرد للعرفان دراسة مستقلة، فهو مذاب في فقرات وعبارات كتبه ودراساته، ويمكننا أن نقول: إن كتاباته كلها حاولت أن تقدّم للإنسان منهاجًا عرفانيًا من نوع جديد، يقوم على مبدأ الإسهام الفعّال بالعملية التغييرية التي يريدها المولى ـ جلّت قدرته ـ فـ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِم﴾، من خلال:

ـ التصحيح في الانحراف الذي انتاب مسير الأمة من خلال الصفوة العادلة الحاكمة وفقًا لشرع الله.

ـ السيطرة على منافذ القرار لتمرير ما يريده الشارع المقدّس عبر قنوات السلطة والقانون.

فقد عانى أغلب أصحاب العرفان من مسألة العزلة من وجهتين:

---

* - أستاذ في كلية التربية ـ ابن رشد.

١ ـ وجهة قسرية: لكونهم منبوذين وسط مجتمع لم يرقَ لمستوى المؤمن الحقيقي الذي يتفهم ممارسات العارفين، كما يُروى عن أسوة العرفاء السيد الميرزا علي آقا القاضي، إذ ينقل صادق حسن زادة في فقرة «محنة العرفان» ما نصّه: « يقول آية الله السيد عبد الكريم الكشميري: كان السيد القاضي مشهورًا بالعرفان في النجف، ولذا كان تلاميذه يحذرون من التردد على بيت أستاذهم خوفًا من ألسنة المعاندين، فكانوا لا يدخلون داره إلى أن يفرغ الزقاق من المارّة، يقول السيد عبد الكريم الكشميري أيضًا: كنت يومًا واقفًا مع السيد القاضي في صحن مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) فرآني أحد فضلاء الحوزة، وأخذ يهزّ رأسه أسفًا على وقوفي مع السيد القاضي. وكان آية الله علي محمد البروجردي يقرّر درس السيد القاضي، فمنعه أحد علماء النجف المعروفين من حضور درس القاضي، وقال له: لا تذهب إلى هذه المجالس فتتخلّف عن الحصول على درجة الاجتهاد في علوم الحوزة في الفقه والأصول. فكان يأتي سرًّا، ويحضر درس أستاذه».

٢ ـ وجهة إرادية: يرى بعض العرفاء ضرورة العزلة والابتعاد عن الخلق؛ حفاظًا على سلامة النفس من التلوث بقاذورات المذنبين من المحيطين بهم في المجتمع، ومن ذلك ما رآه السيد كاظم الحسيني الرشتي في منهاجه السلوكي نحو معرفة الخالق: « فإن كنت طالبًا لعلم التوحيد والمعرفة؛ ... فاعتزل عن الخلق ما استطعت؛ فإن

الناس داء دفين لا دواء لهم، وأهل الدنيا معاشرتهم سم قاتل، لا يسلم منهم أحد إلاّ من خصه الله بتوفيق الاعتزال عنهم ظاهرًا وباطنًا، والمطلوب هو الاعتزال بالقلب، لكن في هذا الزمان سيما أصحاب التلوين الذين ما وصلوا مقام التمكين والاطمئنان، والتسلط على النفس، والاعتزال القلبي مع المعاشرات البدنية مشكل جدًا، ولذا لا بد من الاعتزال الظاهري مهما أمكن من باب المقدمة؛ ولذا قال (عليه السلام) : «إن استطعت أن تكون على قمة جبل فافعل». وقال (عليه السلام): «فرّ من الناس فرارك من الأسد»؛ لأن الناس أهل الدنيا وأهل الهوى، والمعصية نجاسة، ولا يخلوا أحد من أبناء الدنيا من الانهماك فيها فيتنجسون، و إذا باشرت المتنجس تتنجس، سيما مع بقاء عين النجاسة، هذا إذا كانت المباشرة بالرطوبة، وهي عبارة عن الميل إليهم، وميلهم إليك المقتضيان للسيلان، وأما إذا باشرتهم باليبوسة ـ بعدم الميل القلبي ـ فلا بأس، إلاّ أنه ترك للأكمل، أو أنه عندك ماء طاهر تغتسل دون ما يصيبك منهم في الفور، إلاّ أن تكون النجاسة نجاسة الميت؛ فإنها عينية و إن كان موضع الملاقاة يابسًا، والأموات هم الكفرة الفجرة الصوفية ...».

لكن منهجية العرفان العملي لشهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم تأبى العزلة، وتضع علاجًا للوجهة الأولى من حيث قرارة العرفاء في منصة السلطة، بحيث لا يستطيع عوام الناس مخالفتهم أو التقوّل عليهم؛ فطبيعة الخلق الانقياد للسلطة، والإذعان لمن بيده

مواثيق القانون، فيستطيع العرفاء من خلال السيطرة على ذلك المنفذ إبعاد استهجان الناس لهم وابتعادهم عنهم.

أما الوجهة الثانية، فمنهجيته ترفضها أيضًا؛ لأن الانخراط بالعمل التغييري والسعي للمشاركة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ينافي العزلة، فهو يسعى إلى تكميل دأب أهل بيت النبوة (عليهم السلام) في تأسيس «الجماعة الصالحة» التي يجب أن تتصف «بالدرجات العالية من الكمالات الإنسانية، (إذ تشكّل) هذه المزية، مضافًا إلى كونها هدفًا إسلاميًا للإنسان المسلم، تمثّل في نظرأهل البيت (عليهم السلام) شرطًا ضروريًا لا بدّ لهذه الجماعة الصالحة أن تتصف به، حتى تتمكن من القيام بدورها في التاريخ الإنساني؛ حيث إن هذه الدرجة العالية هي التي تكون قادرة على التأثيرفي حركة التاريخ الإنساني، وعلى استنزال النصروالخيرات والبركات الإلهية على المجتمع: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾. ولذا نجد أن أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون هذه المزية ليس في مقام تربيتهم لشيعتهم فحسب، و إنما في مقام التعريف بهوية هؤلاء الشيعة وشخصيتهم أيضًا. فقد ورد عن الإمام الرضا عن أميرالمؤمنين عن رسول الله (صلوات الله عليهم) قال: «يا علي، طوبي لمن أحبك وصدّق بك، وويل لمن بغضك، وكذّب بك. محبوك معروفون في السماء السابعة والأرض السابعة

السفلى، وما بين ذلك هم أهل الدين والورع والسمت الحسن والتواضع لله عزوجل، خاشعة أبصارهم، وجلة قلوبهم لذكرالله عز وجل، وقد عرفوا حق ولايتك» وفي هذا المجال تمّ التأكيد في الروايات على عدة خصوصيات ومعالم أساسية (منها):

- العبادة والزهد ...
- الإيمان بالولاية والعمل ...
- الإخلاص لله في القلب والعمل ...
- تجسيد القدوة الحسنة ...
- القدرة على الصمود ...
- الكيان المتكامل المحكم ...
- الولاء للمؤمنين ...
- الشعوربالمسؤولية العامة.

وعلى هذا الأساس تكون «الجماعة الصالحة» التي يدعوإلى تأسيسها شهيد المحراب تأسيًا بنهج أهل بيت النبوة (عليهم السلام) «بعيدة عن التأثربردود الفعل النفسية والروحية التي انتهت ببعض الجماعات إلى العزلة عن الحياة والانكفاء على النفس، كما يلاحظ ذلك في بعض مذاهب التصوف والباطنية ».

و إذا تحقّق لنا تأسيس تلك الجماعة فإننا سنكون قد خلقنا بذرة من بذور زراعة المجتمع المثالي الذي ينهض على أساس التواد والتراحم، ذلك الأساس الذي يعبرعنه: بالحبّ، ويؤكد شهيد

المحـراب علـى هـذه المسـألة مـن خـلال عـرض منهجيـة الوصـول إلـى المجتمع المثالي، الذي تتمحور علاقاته «في مسألة حب المؤمن للمؤمن؛ ولهـذا نجـد الروايـات الشـريفة ـ التـي وردت عـن أهـل البيـت (عليهم السـلام) ـ تضـع الحـبّ كحـق مـن الحقـوق الأساسـية التـي يجـب أن يلتزم بها الإنسان المؤمن تجاه أخيه المؤمن ، فأحيانًا الأئمة يعبرون عنه بأنه: أول الحقوق، وأخرى أنه أعظم الحقوق، بل فـي بعـض الأحيـان يتوقفـون عـن بيـان حقـوق المـؤمنين لخـوفهم عليـهم مـن شـدة ثقـل الالتزامات الموجودة بها، لكن مع إصرار أصحابهم يبينوها لهم. فقد روى الكليني (رضوان الله تعالى عليه) عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عزوجل وعن يمين الله. قال:ابن أبي يعفور: وما هن جعلت فداك ؟ قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعزأهله ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعزأهله» وفي رواية أخرى عن المعلّى عن الإمام الصادق (عليه السلام): «قلت له ما حق المسلم على المسلم؟ قال: له سبعة حقوق واجبات، ما منهنّ حق إلاّ وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئًا خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب. قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلى إني عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل، قلت: قلت له: لا قوة إلا بالله، قال: أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك . . .».

ولا يتحقق ذلك المجتمع من دون رسم ملامح الأخلاق، بحيث تصبح دستورًا للمؤمن الفرد والجماعة؛ لـ«أن الخير ـ وهو أساس المجتمع المثالي ـ في أي مجتمع من المجتمعات إنما يتولد ويتحقق نتيجة لعملية اجتماعية، يقوم بها المجتمع حتى تنزل الخيرات والبركات، وكذلك الفساد والشروالأذى والظلم والاستبداد، وهو عملية اجتماعية تنشأ من حركة المجتمع الجماعية، عندما ينحرف ويتحول إلى مجتمع فاسد. من هنا تصبح قضية صلاح الفرد الآخر مسؤولية هذا الفرد؛ من أجل الدفاع عن نفسه أمام الشر، الذي ينزل بصورة جماعية؛ ومن أجل كسب المنفعة لنفسه أمام الخير الجماعي، والقرآن الكريم يقول: ... ﴿ظَهَرَالْفَسَادُ فِي الْبَرِّوَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذًا، فهذه العملية عملية اجتماعية».

وتأسيسًا على ما مرّ ذكره يتبين أن «العرفان العملي» الذي يحاول شهيد المحراب تثبيت جذوره في منظومة المعرفة الإسلامية يتلخص بأنه: تنظيم شامل لمرافق الحياة الإنسانية وفقًا للبُعد الأخلاقي الذي تلتزمه جماعة صالحة كاملة تحاول توصيله إلى المجتمع عبرقنوات الحكم لتحقيق المجتمع المثالي العارف.

فمنهجه يمتازبـ:

١ ـ كونه شموليًا.

٢ ـ يستند إلى مبانٍ جماعية.

٣ ـ يرفض العزلة.

٤ ـ يشجع على تسلم مناصب الحكم لتوصيل الدستور الأخلاقي و إخضاع العامة لتلقيه.

ولتوضيح هذه المفردات بنحو أوسع يجب علينا الوقوف عند بعض الأمور التي يرتكز عليها منهاجه السلوكي الموصل لدكة «العرفان العملي»، ومنها:

١ ـ الجماعة الصالحة

لا يمكن لأي صاحب فكرة أن يحققها، أو ينزلها إلى حيز التطبيق، ما لم يناصره أحد، وقد بيّنها وصي الرسالة المحمدية (عليه السلام) بقوله: «لا رأي لمن لا يطاع» والطاعة لا تأتي إلاّ من باب النصرة والإيمان بمعتقدات مَنْ تناصر؛ لذا حاول أهل بيت النبوة (عليهم السلام) توصيل أفكارهم من خلال مناصريهم.

وينقل لنا التاريخ قوائم من أتباع كل فرد من أفراد بيت النبوة (عليهم السلام) بدءًا من قمته المتمثلة بالنبي (صلى الله عليه وآله) وانتهاءً بآخر إمام (عليه السلام) .... وقد ذكر شهيد المحراب طائفة منهم أمثال: «مالك الأشتر، وهاشم المرقال، ومحمد بن أبي بكر، وقيس بن سعد بن عبادة، وحجر بن عدي، وصعصعة بن صوحان، وأخيه زيد، وأويس القرني، وسليمان بن صرد، وأبي الأسود الدؤلي، وعبد الله بن طلحة، وعبد الله بن جعفر، وخباب بن الأرت، وابنه عبد الله، وعدي بن حاتم الطائي، وعقيل بن أبي طالب، وعمرو بن

الحمق الخزاعي، وقنبر مولى علي(عليه السلام)، ومحمد بن أبي حذيفة، وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت الأنصاري، والأصبغ بن نباتة، وميثم التمار، وكميل بن زياد، والحارث الهمداني، ورشيد الهجري، وعبد الله بن العباس، وغيرهم فضلًا عن بقايا متقدمي الصحابة، أمثال: عماربن ياسر، وابن التيهان، وعثمان بن حنيف، وأخيه سهل، وجابربن عبد الله، وابنه عبد الله بن جابرالأنصاري وغيرهم من أمثالهم ».

ولم يغب دورهذه الجماعة في عصرالغيبة الكبرى، بل نابت عنهم التجمعات الصالحة حول المرجعية .... وتطورهذا الأمرشيئًا فشيئًا في ظل التطورالهائل الذي شهده العالم في مختلف جوانب الحياة ، فكان من جملة أطراف تلك الجماعة: التجمعات الحزبية الإسلامية النزيهة العاملة على محاربة البغي وتحقيق حكم الله في الأرض، لذا استغل شهيد المحراب هذا التسلسل ليجسد منه عملًا فكريًا جديدًا يقوم على أساس الفهم النبوي للنظرية الإسلامية ....

عبّرشهيد المحراب (قدّس سرّه) عن تلك الجماعة التي يقترب مفهومها من مفهوم الكادرفي أدبيات التعامل السياسي المعاصر بمصطلحات « الصفوة» و«النخبة» و« الجماعة الصالحة »، ولعل المصطلح الأخيرهو الثابت في استعمال شهيد المحراب في خطابه المعرفي، ولاسيما في مؤلفاته الأخيرة.

وقد أرجع تأسيس هذه الفكرة إلى عصرالنبوة وما بعده؛ ذلك أن

المرسوم للأمة أن يتولى الأئمة قيادتها بالسياسة الفعلية، لولا بعض التغيرات في مسيرتها، لذا فكّر الأئمة ببديل لذلك المرسوم، فكان تأسيس تلك الجماعة هو الحل الأنجع؛ إذ «كان إقصاء أهل البيت (عليهم السلام) عن هذا الدور الأساسي ـ بفعل الانحراف، وسوء الاختيار أو الاجتهادات الخاطئة، والأهواء الشخصية والسياسية ـ السبب في هذا التخلّف والإحباط والأوضاع السيئة التي يعيشها المسلمون، بل تعيشها البشرية الآن وفي العهود السابقة، ويتحمل «الإنسان» المسؤولية في هذا الأمر كما يتحملها في جميع الأدوار والمواجهات وقضايا الإحباط الأخرى عبر التاريخ البشري، منذ خلق الله تعالى آدم وجعله وزوجه في الجنة، إلى المواقف الأخرى تجاه رسالات الأنبياء (عليهم السلام) عندما تخلّفت البشرية عن رسالاتهم ونداءاتهم الربانية: ﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلاّ الذين أتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

وقد حاول الأئمة (عليهم السلام) أن يعيدوا الحق إلى نصابه، وخططوا لتسلّم التجربة الإسلامية بعد إقصائهم عنها، عقيب وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وكان أحد معالم هذا التخطيط بناء الجماعة الصالحة التي يمكن أن يكون لها دور المساهمة في قيادة التجربة الإسلامية».

«ففي مرحلة الأئمة الثلاثة الأوائل يمكن أن نقول: إن الهدف الأول والأهم من بناء الجماعة الصالحة هو المساهمة في عملية تسلّم قيادة التجربة الإسلامية، وهو هدف يأتي منسجمًا مع الأعمال التي قام بها الأئمة (عليهم السلام) على مستوى الحفاظ على الأمة الإسلامية في بُعدها الأول، وهو إقامة الحكم الإسلامي الأصيل، سواء على مستوى الوجود الخارجي لهذا الحكم الذي تحقق على يد الأئمة مدة قصيرة، أم على المستوى النظري والطموح؛ إذ أوجد الأئمة تيارًا في الأمة يدعو لإقامة هذا الحكم، بحيث كان أحد عوامل الضغط لتصحيح مسار الحكم على مرّ التاريخ الإسلامي».

ولا يمكن لهذه الجماعة أن تحقق هدفها الأسمى الذي أُسست من أجله ، إلاّ بعد اتصافها بجملة سمات توصلها إلى الكمالات الإنسانية ، منها: «الزهد والمواظبة على العبادة بجميع أبعادها، فقد ورد في عدة روايات تصوير النموذج الرائع لذلك، منها: عن أبي جعفر (عليه السلام) في رواية أبي المقداد قال: «يا أبا المقداد، إنما شيعة علي (عليه السلام) الشاحبون، الناحلون، الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيرة ألوانهم، مصفرة وجوههم، إذا جنّهم الليل اتخذوا الأرض فراشًا واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم محزونون ... ».

ويمكن تلخيص الأبعاد الوظيفية التي يبتغى حيازتها في المجتمع

الإسلامي حيال تأسيس هذه الجماعة بالآتي –وفقًا لما قرّره شهيد المحراب :

أ-الدفاع عن المجتمع الإسلامي .

ب -إيجاد القدوة الصالحة.

ج -الوحدة الإسلامية

د -المبدئية والمثل العليا

هـ-الإنسانية والعالمية

و-التضحية والشهادة.

ومن خلال ما مرّنفهم أن الجماعة الصالحة هي امتداد للفكر النبوي الداعي إلى تصحيح مسارالأمة بالسيربها نحو التكامل عبر قنوات التطهيروالتزكية للنفس والوصول إلى معرفة المعبود، إذ «لا شك في أن أحد الأهداف المهمة من وجود الأئمة (عليهم السلام) وأطروحتهم في الرسالة الخاتمة هو قيادة التجربة الإسلامية والوصول بها إلى الدرجة العالية من التكامل، ... حيث كان التخطيط الرباني للرسالة الخاتمة يقضي أن تبلغ التجربة الإسلامية الدرجة التكاملية المناسبة لها خلال المدة التي تتولى فيها الحكم، القيادة المتمثلة بالأئمة المعصومين الاثني عشر، والتي يمكن تقديرها بثلاثة قرون من الزمن على أقل تقدير، إذا أخذنا بنظرالاعتبارأقل فرضية للعمرالطبيعي للأئمة الاثني عشر. وهذا التكامل يمكن أن نفترضه على جميع المستويات المعنوية والعلمية والخلقية ومستوى الحكم

والعلاقات والتنظيم، والمستوى المادي في التنمية الاقتصادية والضمان والتكافل الاجتماعيين والقوة العسكرية، وانتشار الدعوة الإسلامية وثقافة الإسلام في مختلف أرجاء العالم، وغير ذلك من شؤون الحياة الإنسانية، بحيث يكون ذلك مصداقًا عمليًا وواقعيًا لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

٢ ـ كيمياء المحبة

يروى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال لأبي عبيدة زياد الحذا: «يا زياد، ويحك وهل الدين إلاّ الحب ؟! ألا ترى قول الله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ أو ألا ترى قول الله لمحمد: ﴿حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ وقال: ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ فقال: الدين هو الحب، والحب هو الدين».

فالحب وفقًا لمنطوق هذه الرواية أساس الدين؛ لأن الحب علاقة سامية راقية، ومنزلة متقدمة من سلّم الرقي الأخلاقي في الإنسان، ولقد استند بعض العرفاء إلى هذا الأساس في بناء منهجهم في التكامل، وبلوغ مرتبة معرفة الله، ولعل مؤسس هذه المدرسة هو العارف الرباني الشيخ رجب علي الخياط الطهراني، الذي أكد أهمية خصيصة الحب في مسيرة العارف، فقد جاءه شخص يريد معرفة سبب عدم فتح الله له منافذ المعرفة الربانية على الرغم من التزامه وممارسته للرياضات الروحية المطلوبة، فأجابه الشيخ: « إنك عملت

من أجل النتيجة، وهذه المدرسة ليست مدرسة النتيجة، و إنما هي مدرسة المحبة، ومدرسة طلب الله ».

ومن أقواله المأثورة في هذا الباب: «حب الله هو منازل العبودية، والحب فوق العشق؛ لأن العشق عارض والحب ذاتي. فقد ينصرف العاشق عن معشوقة، لكن الحب ليس كذلك، وقد يزول عشق العاشق إذا نقص محبوبة أو بعد أو فقد كمالاته، بيد أنّ الأم تحب طفلها و إن كان فيه نقص أو عاه . وكان يقول أيضًا: «يقاس ميزان الأعمال بمدى حب العامل لله تعالى».

وعلى هذا الأساس سميت طريقته تلك في السفرإلى الله بـ«كيمياء المحبة »؛ لأن «المحبة هي كيمياء بناء الذات وتهذيب النفوس، وحب الله يداوي مساوئ الأخلاق كلها دفعة واحدة، ويقدّم للمحب كل الصفات الحميدة دفعة واحدة. فكيمياء المحبة تجتذب المحب نحو حبيبه اجتذابًا يؤدي به إلى قطع جميع العلائق مع أي أحد أو أي شيء آخر. كما جاء في مناجاة المحبين المنسوبة للأمام زين العابدين (عليه السلام): «إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلًا، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولًا» ... وجاء في رواية منسوبة إلى الإمام الصادق (عليه السلام): «حبّ الله إذا أضاء على سرعبد أخلاه عن كل شاغل، وكل ذكرسوى الله ظلمة، والمحب أخلص الناس سرًّا لله تعالى، وأصدقهم قولًا، وأوفاهم عهدًا».

وقد أيقن شهيد المحراب أهمية هذه الركيزة في بلوغ هدف السفرإلى الله من خلال منهاجه السلوكي؛ لذا حاول تقنينها وتنظيم بلوغها من خلال:

ـ بيان مفهوم الحب وأنواعه .

ـ الابتعاد عن الحب الذاتي والزائف .

ـ جعله ركيزة من ركائزبناء المجتمع المثالي ـ كما أسلفنا بيانه ـ وقد علّل ارتكازه لهذه الركيزة ـ ضمن الركائزالأخرى ـ في منهاجه الروحي بأنه « كفيل لتحقيق ... المبادئ والقيم المقدسة لتوهج الدرب للسالكين به نحو الكمال؛ لأنهم فطروا منذ الأزل للبحث عما يشبع حاجاتهم وتطلعاتهم للحصول على تفسيرلهذا الوجود الغامض ».

ويأتي الحبّ لديه مقرونًا بمفاهيم إسلامية رئيسة، بحيث لا يكون انفصالها أمرًا طبيعيًا، بل يأتي على سبيل النقص ومخالفة الناموس الحقيقي للمؤمن، ومن هذه القرائن:

أ ـ الحب = الإيمان : قال شهيد المحراب: « يبدو من القرآن والحديث الشريف: أن الإيمان هو الحب، وبدونه لا يكتمل ويبقى ناقصًا، قال تعالى : ﴿إن الله يحب المتطهرين﴾... ﴿والله يحب الصابرين﴾ وفي الحديث الشريف تعرضت مجموعة من الروايات إلى هذه الحقيقة ، فقد روى البرقي في المحاسن عن فضيل بن يسار، قال: «سألت أبا عبد الله عن الحب والبغض، أمن الإيمان هو؟ قال:

وهل الإيمان إلاّ الحب والبغض؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفروالفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون﴾».

ب ـ الحب = العمل : قال شهيد المحراب: « ترى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أن الإيمان يتأثربالعمل سلبًا و إيجابًا، فإيمان المتقين أعلى درجة من إيمان الفاسقين، مع قطع النظرعن الثواب والعقاب، فنفس الإيمان يتكامل بالعمل ويتسافل بالعصيان».

ج ـ الحب = الإتباع : قال شهيد المحراب: « في حاضرنا المعاصر انعكست هذه الحالة على قضية حب الأئمة (عليهم السلام)، بحيث أصبح بعض الناس يتصورأن حبهم (عليهم السلام) يكون نتيجة وثوابًا لإعماله يوم القيامة، مهما كان سلوكه منحرفًا، فلو يشرب الخمر، ويترك الصلاة، ويقتل المؤمنين، ويوالي الظالمين، ويسير في ركب الطغاة، ويصنع ما يصنع من أعمال منكرة، لكنه ما دام يحب أهل البيت (عليهم السلام) فحبهم ينجيه من العذاب. وهذا الفهم غيرصحيح ، بل لا بد أن يكون حبنا لأهل البيت (عليهم السلام) منعكسًا على سلوكنا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾ فعلينا الإتباع، وليس الحب فقط».

د ـ حب الله ورسوله والمؤمنين ضرورة : قال شهيد المحراب : « حب الله ضرورة ملحة، وحقيقة أكد عليها القرآن الكريم، وتعرضت لها الروايات الشريفة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ

وَ إِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُـمْ وَعَشِـيرَتُكُمْ وَأَمْـوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَـا وَتِجَـارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ... وحب المؤمن لأخيه المؤمن أحد مفردات هذا الأمر».

٣ ـ نظرية الذكر ومنهجية السلوك: يراد بالذكر« عبارة عن عدة ... أوراد كلامية لسانية تفتح أبواب الطريق وتعين السالك في العقبات والعوائق والمهمات» ، أو هي: «مجموع الكلمات التي يذكر بها الله تعالى بالثناء والتحميد أو الاستعانة، من قبيل الحمد لله، وبسم الله، وما شاء الله، والله أكبر، ولا إله إلاّ الله، وسبحان الله ...».

ويمثّل الذكر الدعامة الرئيسة لزاد المسافر إلى الله في منهاج العرفاء جميعًا من دون استثناء؛ لأن «الالتزام بذكر معين ـ إن كان مأثورًا ـ مما يعمق من آثاره، ويوضح مفاهيمه، ويعلّم صاحبها حالة ضبط النفس بشكل منتظم على العمل الذي اقتنع به، مما يهيئ العبد لضبط النفس الدائم فيما هم أهم» ، إذ « يكون الذكر العامل الملازم للإنسان باستمرار في جميع أحواله وأوقاته، والمؤثر في تحقيق أهدافه في التكامل الدنيوي والأخروي سواء في جانب العلاقة مع الله تعالى، أم في الجانب الروحي والنفسي والمحتوى الداخلي له، أم في جانب الإدارة وصفاتها وقوتها في مقاومة الهوى والضغوط، أم في جانب العمل والسلوك».

ويستعرض شهيد المحراب أنواع الذكر، وبعض الأذكار المأثورة؛

ليكمل منهاجه السلوكي القائم على أساس العبادات، كما هو حال المناهج السلوكية الأخرى.

ويحدّد أيضًا مواضع الأذكار؛ لأن الأستاذ لا بدّ له من أن يحدّد تلك المواضع؛ ليستطيع طلاب السلوك العمل بها في مواضعها الصحيحة؛ لأن أغلب العرفاء يحذرون من مخالفة تلك المواضع، وكذا الكيفية والأعداد إذ يشترط العارف «بحر العلوم» ذلك لأن حكم الذكر في حكم الدواء، منه ما ينفع، ومنه ما يضر، بل هو دواء حينًا، وسُمّ حينًا آخر. وبعضه شفاء، وبعضه الآخر داء. يضاف إلى ذلك أن بعض الأوراد قد ينفع بفرده، فإذا ضم إلى ورد آخر أضحى ضارًا. وقد يتعرض السالك للخطر إذا زاد في الورد على عدد معين، أو أنقصه عن ذلك العدد» ، إذ «شخصت في الروايات والنصوص مواقع وأوقات للذكر، ويبدو من خلالها أن الذكر فيها يكون أفضل، وأكد بسبب الزمان والحال أو المكان أو الاستحقاق، ومنها الصباح والمساء، وهذا الإطلاق من ناحية والتخصيص من ناحية أخرى يوضح لنا أبعاد النظرية الإسلامية في الذكر».

ويؤكد شهيد المحراب آثار الأذكار من خلال صياغته لنظرية وسمها بـ«**نظرية الذكر**» التي عرض من خلالها الفعل الحقيقي للذكر في الذات الإنسانية، وقد لخص نظريته تلك بالآتي:

« أ ـ يؤكد علاقة الإنسان بالله تعالى، ويقوي رابطته به عزوجل، فيحصل على أعلى الدرجات وأفضل الثواب ...

ب ـ يكون الذكر علاجًا لأمراض النفس وشفاء الصدور ...

ت ـ يكون تربية للإرادة على الصبروالثبات ...

ث ـ يكون رادعًا للإنسان عن المعصية، وآمرًا له بالطاعة، وضمانًا للتقوى والورع، التزامًا بمنهج الحق في السلوك والعمل ...».

ويكمل شهيد المحراب هذه المفردة المهمة في منهاجه الروحي بعرض رؤى منهجيته السلوكية التي يجب أن تتحلى بها الجماعة الصالحة، القائمة على أساس الإرادة والحصانة؛ لأن «**الإرادة الإنسانية إذا تطابقت مع الإرادة التشريعية الإلهية المتمثلة بالشريعة والأحكام والحدود الشرعية تكاملت النفس الإنسانية؛ لأنها سوف تتطابق مع الحق والمصالح. وهذا ما يحتاج من الإنسان أن يجاهد هواه، ويهيمن على شهواته وغرائزه، ليجعلها تتطابق مع هذه الأحكام الشرعية**».

ولا يمكن أن تتأتى تلك الإرادة من دون الالتزام بالنصائح الآتية:

أ ـ تقوية الارتباط بالله تعالى ...

ب ـ استخدام العقل الذي يهدي إلى الحق والحقيقة وطاعته ....

ج ـ الصبرعلى الطاعة والالتزام بالواجبات ، والصبرعن المعصية واجتناب المحرمات ...

د ـ محاسبة النفس ومراقبة الأعمال والنشاطات التي تقوم بها ...

هـ ـ التوبة والإنابة لله تعالى عند الخروج عن جادة الصواب وطريق الاستقامة والعدل.

و ـ تشخيص مواضع ضغوط الهوى، مثل: حب النفس والشهوات من النساء والبنين.

أمـا الحصـانة ومقاومـة الـنفس الإنسـانية فتـأتي عبـرممارسـات عباديـة تقـوم علـى تأديـة الواجبـات و«مسـتويات متعـددة لحركـة التكامل الإنساني في جهاد النفس؛ وذلك من خلال مجموعة من الالتزامـات والآداب المسـتحبة أو المكروهـة، بحيـث تكـوّن سـياجًا وحصنًا يمنع النفس من الوقوع تحت تأثيرات الهوى، ويوجد فيها المزيد من التكامل الإنساني.

ويمكن أن نلاحظ ذلك أيضًا ـ مضافًا إلى هذا المنهج ـ في التربية الإسـلامية العامـة، وفـي منـاهج الـدعاء والـذكرالتـي وضـعها الأئمـة (عليهم السـلام) وتشـمل اليـوم والليلـة بتمامهـا، مضـافًا إلى الاهتمـام بإحياء الليل، وخصوصًا الليالي الخاصة، مثل: ليالي القدر، والجمعة، والأعيـاد، والمناسـبات الإسـلامية وكـذلك مـنهج الصـلوات المسـتحبة الخاصـة، مثل: الصـلاة المنتسـبة إلى المعصـومين الأربعـة عشـر(عليهم السلام) واحدًا بعد آخر، وصلاة جعفروغيرها، أو الصلوات العامة فـي ليـالي الإحيـاء ... ومـنهج العبـادات الأخـرى، كالصـوم المسـتحب، والاعتكـاف، والحـج المسـتحب، والعمـرة، وزيـارات النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) والأئمـة (عليهم السـلام) والصـالحين ...كـل ذلـك فـي تفاصيل دقيقة يمكن أن تشاهد في الكتب الحديثية، كأبواب جهاد النفس، والعشرة، والإخوان، والسلوك الأخلاقي؛ بحيث تكون الحصيلة هي تصعيد الجانب الأخلاقي والالتزامات السلوكية وقوة الشخصية على المستوى الفردي، وفي المجتمع الإنساني».

ويشـكل هـذا المفصـل بمجملـه —فضـلًا عمـا أحلنـا عليـه فـي

الهامش ـ المنهاج العبادي الذي يتبناه شهيد المحراب للرقي في تطهير النفس، وبلوغ درجة الكمال الإنساني .

٤ ـ الأخلاق السياسية: قد يجد المطلع في هذه الفقرة غرابة من وجوه مختلفة، فما علاقة الأخلاق بالسياسة، وهي بطبيعتها ذات وجهة دينية ؟ وما علاقة السياسة ـ إن سلمنا بأخلاقيتها ـ بموضوع العرفان ؟ .... لكن بالرجوع إلى التعريف الذي وضعناه لصفة العرفان عند شهيد المحراب يرفع هذه التساؤلات وغيرها ، فشهيد المحراب حاول أن يرجع الشمولية العامة لسلطة رجل الدين، أو كل عارف يريد حكم الله في الأرض ، بحيث يكون منظمًا لمرافق الحياة المتنوعة، وعلى رأسها المرافق السياسية ...

وبحسب هذا التصوّر تنسحب مفردة الأخلاق على السياسة؛ لتكون المنهج المبدئي الذي تستند إليه في تمشية أمور البلاد والعباد، وعليه تكون صلته بالعرفان من باب أن شهيد المحراب يريد من الجماعة الصالحة أن تكون عارفة بالله، سالكة طريق السفر إليه، عبر الالتزام بمفردات العبادة الحقّة ... فتكون الأخلاق السياسية علامة فارقة لموضوع العرفان عند شهيد المحراب يتوجب الوقوف عندها لبيانها.

فهناك الكثير من الناس «يتصور أن السياسة لا علاقة لها بالدين إطلاقًا، حيث إن الدين أمر روحاني يشتمل على الفضائل والمعنويات، أما السياسة فهي ـ عادة ـ غارقة بالماديات والمكر والخديعة، والظلم والاستبداد ... لكن ... السياسة بمعناها الصحيح جزء لا يتجزأ من

الدين الإسلامي الذي اختاره الله عزوجل دستورًا للبشرية جمعاء، منذ أن بعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وإلى يوم القيامة. فإن السياسة تعني «إدارة البلاد والعباد» في قاموس الإسلام لا تعني إلاّ الأسلوب الطاهرالذي لا ترى فيه شيئًا من المكروالخديعة والظلم والاستبداد، بل يتضمن أكبرالحريات للإنسان بما هوإنسان، ويأخذ بيده إلى كمال الدارين وسعادة الدنيا والآخرة» ، فـ«السياسة التي تفسّر بتنظيم أموردنيا الناس على أحسن وأرفه وجه هو مضمون قوله تعالى في وصف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ **السياسة بهذا التفسير هي من صميم الإسلام، ومن أسس الدين التي يجب على كل فرد من المسلمين السعي لتطبيقها على العالم كله** ...وفي الشريعة نصوص كثيروكثيرة جدًا تدل على أن السياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام، بل الأصح في التعبيرأن نقول: الإسلام والسياسة لفظان لمفهوم واحد، **فالسياسة: هي الإسلام، والإسلام: هوالسياسة** ...جاء في الحديث الشريف في وصف الأئمة (عليهم السلام): بأنهم «ساسة العباد» و«الإمام لا يجهل ... مضطلع بالإمامة، عارف بالسياسة».

وما دامت السياسة من الدين، اقتضى أن نتنظم بأخلاقية ذلك الدين؛ لأن الدين ـ كما وصفه حبيب رب العالمين (صلى الله عليه وآله) ـ هوالخُلُق؛ إذ روي «أن رجلًا جاء النبي فقال: يا رسول الله ما الدين ؟ فقال: حسن الخلق، ثم أتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين ؟ فقال: حسن الخلق، ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما

الدين؟ فقال: حسن الخلق، ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدين؟ فالتفت فقال: أما تفقه هو أن لا تغضب».

ومن ذلك الحديث النبوي المشهور: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وروى الكليني في الكافي عن الباقر(عليه السلام): «إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا».

وتأسيسًا على هذا الربط عقد شهيد المحراب فقرات من مؤلفاته لبيان صفة الأخلاق السياسية، التي عرفها بأنها: «الأخلاق التي لها علاقة بالعمل السياسي والاجتماعي و إدارة عملية التغييروالمواجهة، مع قوى الظلم والاستكباروالفساد، وهذا القسم من الأخلاق لم يتم التركيزعليه بصورة مناسبة ومستقلة بخلاف (غيره) ... (وترتبط الأخلاق السياسية) بموضوع إعداد الصفوة، أي: عندما نتحدث عن إعداد الصفوة ... إنما يمكن أن يتم هذا الإعداد من خلال إيجاد هذا النوع من الأبحاث والمناهج الأخلاقية التي لها علاقة بالعمل السياسي والاجتماعي ».

وقد وصف شهيد المحراب «الأخلاق السياسية» بأنها الأخلاق التغييرية التي يستند إليها أفراد الصفوة العارفين؛ لتعديل نقاط الانحراف في مسيرة المجتمع الإسلامي.

فهي إذن، مفصل مهم من مفاصل برنامجه العرفاني لكونها :

- نهجًا عمليًا.
- مسارًا تغييريًا .
- نظامًا أخلاقيًا.

السيد الحكيم والحركة الجهادية لسكان الأهوار

ياسين الموسوي *

كان الهدف من اختيار هذا الموضوع بالخصوص لأجل تأسيس بعض المرتكزات التي ينطلق منها الباحث لشخصية السيد الحكيم والإحاطة بها.

إنَّ من يريد أن يعرف السيد الحكيم فعليه أن يحيط علمًا بجميع خصوصياته العلمية، فكم هي البحوث والمقالات والخطب التي قيلت بحقه، ولكنني بعدما قرأتها وسبرتها وجدتها عاجزة عن إعطاء الصورة الحقيقية لما كان عليه؛ فلم تتوفر هذه البحوث على الكثير من جوانب حياته لغياب المنهجية والموضوعية، وقلّة الإحاطة والشمولية والموسوعية والدقة والضبط باستدلاله، والتزامه المبادئ والمُثُل التي آمن بها، وأخلاقيته القيادية التي قلّ مثيلاتها في الشجاعة، والصبر وكظم الغيظ والعفو عمن ظلمه... الخ.

و إن كنت أترك الاسترسال بعدِّ مفردات عناوين البحوث عن شخصيته المنهجية والعلمية خشية الإطناب والإطالة، فإني أدعو الباحثين إلى دراسة التاريخ النضالي والقيادي الذي زاد على العشرين

---

* - أستاذ بحث الخارج في الحوزة العلمية.

ثلاثًا من السنين، وهو تاريخ لا يمكن لأحد أن يغفله إذا أراد أن يؤرخ للعراق، أو للفترة الحرجة من تأريخ الأمة الإسلامية في سني الثمانينيات وما بعدها؛ فقد كان الحكيم الرمز القائد الحقيقي للشعب العراقي خلال السنين العجاف.

وكما كان للحكيم تميزه في المنهج التنظيري، فضلًا عن تميزه في أدواره القيادية الميدانية التي جسَّدَ فيها رؤاه، ونظرياته الفكرية في منهجه الثقافي والفكري و(الإيديولوجي) المبدأي والسياسي والاجتماعي.

وعلى الدارس له أن يدرسها في محورين منفصلين لكل واحد منهم حيَّزه الخاص به، بحيث يكون الحيّز الفكري هو الذهن والعقل، بينما يشغل الواقع والميدان حيّز المحور الثاني.

وجاء التأكيد على هذا التفريق بين حيزي هذين المحورين للتنبيه على أن العلاقة بين الأنشطة العقلية والفكرية، والأنشطة السياسية والعلمية عند سيدنا الحكيم لم تكن على نحو العلاقة بين العقل النظري والعقل العلمي المبحوث عنها في الفلسفة، الذي كان يتبناها منهج سياسي إسلامي عاش بخط متوازٍ مع حركته من أواخر الستينات من القرن الماضي.

بينما كان منهج السيد الحكيم التنفيذي في عالمي السياسة والاجتماع يعتمد القوانين الميدانية فيهما، كما كان يؤمن بعدم صلاحية تطبيق القوانين السياسية والاجتماعية العقلية على نحو

القضية الكلية في الواقع الميداني السياسي والاجتماعي، فقد يكون للواقع قوانينه الخاصة به، والمتغيرة مع قوانين الفكر والمعرفة النظرية.

وكان هذا التمايز محور خلاف جذري شَكَّل في الواقع السياسي الإسلامي العراقي مدرستين، لكل واحدة منهما قادتها وأتباعها.

واتَّسَمَت المدرسة للسيد الحكيم من بداية ظهورها في الميدان بسمة التنظير لسياسة المنهج بعنصرين أساسين آخذًا في مستقبل الطرح النظري وساحة العمل في الصراع السياسي موقع التأصيل لمعالم المدرسة؛ ويدلك على هذه الحقيقة إنه صرح بهما في أول كراسين كتبهما في الأهداف والوسائل لحركة المجاهدين العراقيين، وقد نُشِرَ الكراسان بإسم الحركة من دون أن ينسبا إلى سماحته لأسباب تتعلق بمشروعه السياسي الميداني آنذاك:

العنصر الأول: الانفتاح على الأمة التي تحتضن جميع الشرائح على مختلف مستوياتها.

وقد أخذ هذا المشروع بعين الاعتبار الأخطاء الستراتيجية التي احتوت عليها مشاريع (النخبة) في العمل السياسي النظام الحركي والحزبي الإسلامي.

وجاء في جملة تنظيراته: إنه فرَّق بين نوعين من التنظيم (و إن كانت الدولة موجودة في أبسط أشكالها الإدارية) واستشهد

لنظريته هذه بجملة قضايا كان أبرزها صورة العمل والارتباط الحركي في بني إسرائيل الذين عاشوها بطريقتين مختلفتين؛ فكانت الطريقة الأولى هي الانفتاح القيادي بشكله العام غير المنظم على الأمة في ظل نظام التسلط الفرعوني في مصر قبل أن ينزحوا ويهاجروا إلى الأرض المقدسة، بينما تغير نظام إدارة الأمة الإسرائيلية بعدما استقروا في سيناء عندما نَظَّم نبي الله موسى (عليه السلام) الأمة الإسرائيلية تنظيمًا اداريًا وحركيًا وقسمهم اثني عشر قسمًا بعدد قبائل أسباط إسرائيل.

العنصر الثاني: إنه فرق بين قوانين العمل السياسي وقوانين النظرية السياسية، وأكد على الفارق الأساسي الذي ينص على أن **العمل السياسي لابد وأن يخضع للتغييرات التي تحدث على الأرض؛ وعليه فمن الحكمة أن تتغير المواقف والرؤى السياسية بتغير الحوادث، وليس من الحكمة التمسك بالنظريات المسبقة مع تغيير الأمروالمجريات**؛ وفي نفس الوقت فإنه كان يؤكد على أن هناك ثوابت سياسية لا يمكن التنازل عنها، وهي المبادئ الأساسية التي نشأ الصراع السياسي من أجلها المتمثلة بالإسلام والعدالة.

وكانت مدرسة النخبة تقف في الخط المقابل، حيث تؤمن بضرورة تحديد مراحل الصراع السياسي والتي شخصتها آنذاك بأربعة مراحل ابتدأت بالمرحلة الفكرية التي استمرت حوالي العقدين، ولم تنتهِ إلا بعد جدل مكثف داربين روادها بعد انتصار

الثورة الإسلامية يهدف إلى ضرورة الانتقال إلى المرحلة الثانية، وهي المرحلة السياسية.

بينما كان يرى السيد الحكيم إمكانية اجتماع الصراع بألوان متنوعة في فترة زمنية واحدة بما تحتاجه المعركة لتوفيرأكبرفرص الفوزلها، وأتذكرجيدًا موقف السيد الحكيم في الاجتماع التاريخي الذي دعا الإمام الخميني إليه الشخصيات المعارضة لنظام صدام علماء الدين العراقيين سنة ١٩٨١ في منزله وبحضورنجله المرحوم السيد أحمد ممثلًا عنه، وحضرالاجتماع جماعة العلماء المجاهدين برئاسة السيد الحكيم، والمعارضون لسماحته آنذاك.

وعندما طرح إشكالاته (قدّس سرّه) على الطرف الآخر كان من جملتها: تأكد على ضرورة التفرغ للعمل العلمي الحوزوي، و إشكاله على الجهة المقابلة بأنها لا تعطي العمل السياسي إلا الشيء القليل.

فأجابه السيد أحمد (قدّس سرّه): بأن عندك مدرسة للعلوم الحوزوية في طهران، وأنت مهتم أيضًا بهذا الجانب العلمي الحوزوي، فما المانع من اهتمامهم هم أيضًا بهذا الجانب؟

فأجاب السيد الحكيم (قدّس سرّه): بأنه يهتم بالجانب الحوزوي باعتباره من الضروريات التي تحتاجها المعركة الفكرية السياسية التي تعيشها الأمة إذ يشكل محورًا من محاورالعمل الجهادي ضد الطاغوت.

رؤيته بإسقاط الطاغية

وكان واقعيًا بتشخيصه طريقة إسقاط الطاغوت الدكتاتوري.

إن كل دارس موضوعي أو متابع منصف لمسيرة السيد الحكيم يقر بالحقيقة القائلة بأن المنهج العقلاني المتكيِّف مع الرؤية الواقعية كان حاكمًا على حركته السياسية بالمقدار الذي لم ينسه الجانب العاطفي الذي تحتاجه الأمة لخلاصها ونهضتها.

ومع ما كان له من مشاركة فاعلة بقراءة الأفكار الأخرى العلمية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية كاطلاعه على تفصيلات الفكر الماركسي والرأسمالي، والمذاهب السياسية والاجتماعية التي ظهرت في عقود القرن الماضي ومتابعته تأريخ نضال الشعوب المستضعفة والفقيرة، وتاريخ الثورات في العالم مما أهَلَّه ليكون شريكًا للإمام الصدر في مشروعه المدرسي الضخم *اقتصادنا* فيقول (قدّس سرّه) وهو يتحدث عن سبب تأخير انجاز كتابه اقتصادنا الذي كان قد وعد به قراءه في كتابه السابق عليه *فلسفتنا*: «**... ولكن ظروفًا قاهرة اضطرت إلى شيء من التأخير، بالرغم من الجهود التي بذلتها بالتضامن مع عضدي المفدَّى العلامة الجليل السيد محمد باقر الحكيم في سبيل إنجاز هذه الدراسة، ووضعها بين أيديكم في أقرب وقت ممكن**».

فإنه كان لا يؤمن بالحل العسكري أو العنف والقوة خيارًا ستراتيجيًا للتخلص من الدكتاتورية أو و إقامة الحكم الحرّ، مع أن

هـذا الأسـلوب كـان الخيـار الأول أمـام المناضـلين والثـوار العـالميين آنذاك، وكان هذا الأسلوب هو الوحيد الذي تتغير به الحكومات في العراق على مدى عقود عدة من الزمن.

نعـم، إن سـيدنا الحكـيم (قـدّس سـرّه) كـان يـؤمن بطريقـة التحرك السياسي المدني بعيدًا عن العسكر والقوة كما هو المنهج المسـيطر على مواقـف ورؤى المراجـع والحـوزة العلميـة فـي النجـف الأشرف، وربما نجد من الفقهاء من كان وما يزال ينظر لهذا الموقف دينيًا استنادًا إلى الروايات الشريفة المروية عن الأئمة (عليهم السلام) التي استدل بها على حرمة العمل العسكري في عصر الغيبة، ومنها معتبرة أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عزوجل».

وما روي عن الإمام علي ابن الحسين (عليه السلام) قال: «والله لا يخرج احد منا قبل خروج القائم إلا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوى جناحاه، فأخذه الصبيان فعبثوا به».

وربما يأتي من هذا الباب أيضًا موقف المشهور من فقهاء الشيعة الإمامية بحرمة الجهاد الابتدائي.

واستمرت هذه الرؤية عند سيدنا الحكيم بعد انتفاضة العشرين من صفر(١٣٩٧هـ) / (١٩٧٧م)، والحكم عليه بالسجن المؤبد.

ولكنـه تغيـر تكتيكيًـا بعـد مـا تسـلم صـدام رئاسـة الحكـم بـالمؤامرة التـي أزاح بهـا البكـر عـن الرئاسـة، وابتـدأ حكمـه بمجـازر

وحشية ملأت شوارع العاصمة بغداد، وشملت حتى أصحابه في مجلس قيادة الثورة. فلا خيار أمام هذا الوضع الاستثنائي إلا العمل العسكري.

وأتذكر مرة كنت أتحدث مع المرحوم المفكر الإسلامي الكبير آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين سنة ١٩٨٧ في بيروت، وكان يحدثني عن رفضه المطلق للعمل المسلح.

فسألته: فكيف العمل مع صدام؟

فأجاب بسرعة وبلا تردد: صدام شيء آخر، لا يمكن إسقاط إرهابه وعنفه إلا بالقوة.

وانطلاقًا من منهجه الواقعي فقد ابتدأ السيد الشهيد قيادة المعركة بعد استشهاد الإمام الصدر (قدّس سرّه) بتغيير موقعه من العراق فهاجر إلى خارج الوطن، واتخذ من بلد الهجرة الأول سوريا مقرًا مؤقتًا لإقامته، ومكث عدة أشهر كتب فيها مشروعه السياسي لإسقاط الطاغية، وكان المشروع قد ابتنى على ضرورة تكوين القوة العسكرية القادرة على مواجهة النظام الدكتاتوري الغاشم.

ولم تفتح حينذاك أية دولة عربية أبوابها لاستقبال القائد الحكيم، مما اضطره للهجرة إلى إيران لأسباب موضوعية كان أهمها:

أ ـ استعدادها لاستقباله في البداية والسماح له بعد ذلك بتنفيذ مشروعه التحريري.

ب ـ هناك أكثر من ألف كيلومتر من الحدود المشتركة بينها وبين الوطن مما يفتح المجال الواسع للتحرك والتواصل.

كانت التجربة التي خاضها كبيرة وموفقة استطاع أن يطور المواجهة، ويبني تنظيمًا عسكريًا قويًا اعترف به النظام الحاكم في العراق، كان له فيها بعد الدور الكبير في حماية الشعب العراقي والدفاع عنه.

إن تجربة كهذه تستحق أن تدرس بموضوعية ومنهجية تحيط بكل أبعادها ومراحلها وأدوارها وما حققته من نتائج سليمة.

أما في حركته السياسية فقد استطاع أن يؤسس «جماعة العلماء المجاهدين في العراق»، ومن ثم «مكتب الثورة الإسلامية في العراق)، وبعد (المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق».

وعلى مستوى خدمة الجماهير العراقية في المهجر فقد استطاع أن ينشئ «مؤسسة الشهيد الصدر» بهيئاتها المختلفة الاجتماعية والخدمية المتنوعة، بما لم يسبقه أحد من الوجودات السياسية المهاجرة بهذا التنوع والتحرك السياسي والجهادي و.. الخ.

وهكذا استطاع الشهيد الحكيم (قدّس سرّه) أن يؤسس لمرتكزات الدولة ونظامها وهو خارج بلده، فقد ترجم ذلك عمليًا من خلال البرامج المختلفة والمتنوعة في خدمة العراقيين والعمل على أمنهم ونشر قضيتهم و إيصالها إلى المحافل العالمية الكبرى وهيأة الأمم المتحدة، وعمل جاهدًا على تحصيل الاعتراف بالمعارضة

العراقية (الداخلية والخارجية) من قبل المنظمات العالمية والدول العربية المحيط بالعراق بعدما رفضت في السابق استقباله مستقلًا بذكاء وبعمل دؤوب تدهورعلاقاتها مع نظام الحكم الصدامي نتيجة حروبه وعدوانه على هذه الدول، ثم استطاع بعد ذلك أن يجعل من قضية ومأساة شعبه من القضايا الملحة على الضمير العالمي.

تبنى الحركة الجهادية في الأهواروالدفاع عن سكانها

سُمح لنظام صدام المقبورباستخدام طائراته المروحية ودرعه في قمع الشعب العراقي في انتفاضته الشعبانية سنة ١٩٩١م بعد هزيمة الكويت.

وتراجع المنتفضون من المدن الكبيرة التي كانوا يسيطرون عليها في محافظات الجنوب على وجه الخصوص إلى القرى والأرياف ومنطقة الأهوارالبعيدة عن سيطرة النظام، حيث تتمتع بحرية أكبر من غيرها من سيطرة النظام.

تشكل منطقة الأهوارمثلثًا بين المحافظات الثلاث: (العمارة، والناصرية، والبصرة) واستفاد الثوارمن طبيعة الأرض التي تقيد الدروع من التحرك فيها بسهولة، ولذلك فقد بقيت مناطق شاسعة حرة تدارذاتيًا من قبل الأهالي بعيدة عن القوى العسكرية والأمنية الحكومية.

وكان السيد الحكيم يقدر عدد نفوس سكانها بما يقارب السبعمائة وخمسين ألف إنسان.

لقد أصر النظام على محاولة القضاء على ما سمّاه بـ(التمرد) في تلك المناطق، واستخدام شتى الأساليب القمعية؛ وكان من جملتها المقابر الجماعية، وحرب الإبادة بتدمير القرى وحرقها، والتهجير القسري للسكان من مناطقهم إلى مناطق أخرى، وتغيير طبيعة الأرض.

وقد دمّر قرى كاملة في المحافظات الثلاث، مثل: الصيكل، والجدي، والعكر، والكباب، والكبيبة، والصحين، وأبو شذر في محافظة العمارة؛ والدبن (الذين كان قد بدل اسمها قبل تخريبها باسم مدينة صدام)، وأبو عجاج، والكبه، وعبادة، وآل جويبر، وغيرها في محافظة الناصرية، ومثل: المزلك، وصلين، والشرتة، وغيرها في محافظة البصرة.

لم تستسلم الجماهير المنتفضة لإرادة النظام، واستمرت في مقاومتها، متشبثة بحريتها، ومتحملة الآلام والمصاعب، ورسمت أروع الأمثلة في البطولة والتضحية والصبر والإيثار.

ومع استمرار المعركة فقد حاول النظام أن يقضي على ما بقي من المقاومة في تلك المناطق المحررة بأساليبه المتنوعة التي كان أهما:

١ـ القوة العسكرية غير المتكافئة

فاستخدم الطائرات الحربية النفاذة والمروحية، بالإضافة إلى الدروع من الدبابات والمدفعية الثقيلة التي كانت تسمى عند الأهلي بـ(النمساوي)، هذا بالإضافة إلى استخدامه قوات المشاة الضخمة.

٢ـ الحصار الاقتصادي

إذ منع دخول المواد الغذائية، والبنزين، والنفط، والغاز، وجميع المواد الأولية إلى المناطق المحررة في الجنوب.

ومع ما كان يعانيه شعبنا من الحصار الاقتصادي الدولي، فقد كان شعبنا في الجنوب يعاني الأمرين من الحصار الاقتصادي الذي فرضه النظام عليه، فتولدت المجاعة، والعوز الشديد، وقد مات بعض الأشخاص منهم جوعًا.

٣ـ التعتيم الإعلامي

حاول النظام أن يقطع كل وسائل الاتصال بين سكان المنطقة والمناطق الأخرى، كما منع تسرب أية معلومة تفيد المواطنين في طمأنة نفوسهم أو شعورهم بفرج قريب (الحرب النفسية) أو تنتهي بعكس مظلوميتهم ومأساتهم للعالم الحر المدافع عن حقوق الإنسان في الدول المتحضرة.

ولذلك لا يكاد يتسرب الخبر الإعلامي أو غيره عن واقع المواطنين من سكان تلك المناطق، حتى إلى جيرانهم سكان مدن نفس محافظاتهم، فمثلًا إن الغالبية العظمى من سكان مدينة البصرة لا

تعرف عن جهاد ومظلومية شعبنا في أهوار البصرة إلا النزر القليل نتيجة سياسة النظام القمعية التي استخدمها ضد العشائر المجاهدين سكان المنطقة، وقدرة النظام على عزل مناطق الأهوار عما يحيطها.

٤ـ إثارة النعرات القبلية بين أبناء العشائر

وانسجامًا مع القانون الاجتماعي القائل (فرق تسد) فقد حاول النظام زرع أياد من المرتبطين به أمنيًا في داخل الجسم الاجتماعي يقومون بعمليات إثارة النعرات العشائرية، و إذكاء نار الفتنة بين الناس تحت العناوين الاجتماعية الموروثة في هذه الشريحة السكانية، والتي تعبر عن القوانين الحاكمة في مجمل تصرفاتهم الاجتماعية، من قبيل (الثأر) العشائري و إيجاد شيوخ ووجهاء عشائر عينهم النظام. بعدما استحدث مشجرات النسب ودعا إليها، وصنف على أساسها شيوخ القبائل (العشائر) إلى أصناف (أ، ب، ج) يرتبطون بالنظام مباشرة بطرق معروفة.

وكان السكان يسمّون جواسيس النظام بمصطلح (الشماشمة) كما كان يسمون شيوخ العشائر الذين عينهم النظام بموقع مشيخة القبيلة بمصطلح (شيوخ التسعين).

٥ـ تغيير طبيعة الأرض

قام النظام بمشروع الأنفال في جنوب العراق حيث غير مجرى نهري دجلة والفرات اللذين كانا يمران في داخل الأهوار إلى مناطق أخرى بعيدة عن المنطقة مما أدى ذلك العمل إلى سد المنافذ المائية

عن الأهوار، وتصحّر الأراضي الزراعية التي كانت تمرّبها فروع النهرين.

في المقابل كان للقائد الشهيد الحكيم (قدّس سرّه) الدور الكبير في مواجهة تلك المؤامرة والدفاع عن الشعب المظلوم. فقد اتسم دوره بالحكمة والمواجهة العلنية للمشروع الظالم للنظام.

إني أدعو الباحثين لدارسة هذه الفترة المهمة في حياة العراق السياسي المعاصر من تاريخنا المشرق، بقراءة تفاصيل حركة سيدنا الحكيم الذي تمكن بجهاده وذكائه وحكمته أن يقود جهاد هذا الشعب المناضل المعطاء.

ولكني لا أفوّت فرصة تسجيل منهجه السياسي والجهادي بالدفاع عن المجاهدين وسكان الأهوار ضمن شرح إستراتيجيته العلمية وواقعه الميداني، حيث بادر من بداية إنتفاضة شعبنا إلى دعمها وتأييدها، ثم استمر بشكل ممنهج بإدامتها فأسس مكتب (الجنوب) لدعم الانتفاضة، تحت إشراف سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد العزيز الحكيم.

وتبتنى الإستراتيجية على النقاط التالية:

١ـ تبني جهاد شعبنا في الجنوب ونضاله، واحترام إرادته برفض النظام الدكتاتوري.

٢ـ عدم التصدي الميداني للعمل العسكري في مناطق الأهوار إلا بحدود الهداية والإرشاد في مجالاته الترشيدية، وعدم التدخل بالشؤون الجزئية لأسباب موضوعية.

٣ـ الاهتمام بالتعبئة الجماهيرية نفسيًا وثقافيًا بما يرفد في إدامة جهاد شعبنا، والمشاركة في عملية تثقيف الجماهير دينيًا وحضاريًا.

فكان يهتم بإرسال المبلغين والمرشدين الدينيين إلى مناطق الأهوار في داخل العراق، ويتكفل جميع المستلزمات المادية والمعنوية لتسهيل عملية أداء أدوارهم الدينية في تلك المناطق.

٤ـ شَكَّل هيأة الإغاثة لدعم الشعب العراقي، فكانت تأخذ على عاتقها إيصال المواد الغذائية إلى المحتاجين وتوزيعها من خلال لجان ميدانية شكلت في جميع مناطق الأهوار.

٥ـ سعى جادًا لكسر الحواجز التي فرضها النظام على الوضع الإعلامي العالمي، واستطاع أن يؤسس «المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق» الذي كان ينقل جميع انتهاكات حقوق الإنسان التي كان يقوم بها النظام، ومن ثمَّ يعرضها المركز على المحافل الدولية العالمية المهتمة بحقوق الإنسان والمرتبطة بالأمم المتحدة، ومنظمة العفو الدولية وغيرها.

وقد استجابت تلك المنظمات في كثير من الأحيان وأصدرت القرارات التي تدافع بها عن حقوق الإنسان في العراق.

٦ـ كما شجع الإعلاميين حتى الأجانب منهم على الدخول إلى مناطق الأهوار، ومعرفة الوقائع والحقائق والظلامات التي كان يعيشها المواطنون تحت نير النظام الجائر.

ومن جملة أولئك الصحفي البريطاني (شام) من صحيفة الأبزوفر

البريطانية الواسعة الانتشار، الذي زار مناطق الأهوار ورأى معاناة شعبنا بعينه وعايشها بنفسه.

٧ـ كما كان لشخصية سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد العزيز الحكيم (رض) الدور الكبير والضخم في إنجاح جميع تلك المهام، ولولاه لما تمكن أي مشروع من تلك المشاريع أن يرى النور.

وكان قد أعطى كل وجوده، وحركته، وصحته، وراحته بتضحية نادرة، و إخلاص منقطع، وروح ملكوتية كما يفعل الصديقون باستشهاداتهم مدافعين عن المثل والقيم الإلهية العليا.

كان الشهيد آية الله الحكيم تجسيدًا للإرادة المشروعة لشعب يرى دينه واستقلاله ومستقبل بلاده عرضة للأخطار وبيوته تحت أحذية المحتلين و إرادته تتجه نحو الدفاع عن هويته الدينية والوطنية مقابل المعتدين.

استشهاد هذا السيد الجليل مصاب جلل للشعب العراقي ووثيقة أخرى على إجرام المحتلين الذين فرضوا انعدام الأمن والفوضى على العراق بتواجدهم اللامشروع فيه.

الامام الخامنئي

المجتمع الإنساني في القرآن الكريم

خلافة آدم والإنسان

محمد باقرالحكيم

﴿وَ إِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلاَئِكَـةِ إِنِّـي جَاعِـلٌ فِـي الأَرْضِ خَلِيفَـةً قَـالُواْ أَتَجْعَـلُ فِيهَـا مَـن يُفْسِـدُ فِيهَـا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَـالَ إِنِّـي أَعْلَـمُ مَـا لاَ تَعْلَمُـونَ، وَعَلَّـمَ آدَمَ الأَسْـمَاء كُلَّهَـا ثُـمَّ عَرَضَـهُمْ عَلَـى الْمَلاَئِكَـةِ فَقَـالَ أَنبِئُـونِي بِأَسْـمَاء هَـؤُلاء إِن كُنـتُمْ صَـادِقِينَ، قَـالُواْ سُـبْحَانَكَ لاَ عِلْـمَ لَنَـا إِلاَّ مَـا عَلَّمْتَنَـا إِنَّـكَ أَنـتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَـالَ يَـا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْـمَآئِهِمْ فَلَمَّـا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَـا تُبْدُونَ وَمَـا كُنـتُمْ تَكْتُمُونَ، وَ إِذْ قُلْنَـا لِلْمَلاَئِكَـةِ اسْـجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ

بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

هذه الآيات العشرتتحدث عن قضية استخلاف الله سبحانه لآدم على الأرض، وهو استخلاف للنوع الإنساني في الأرض ـ كما سوف نعرف ذلك ـ وقضية الاستخلاف هذه تشتمل على جانبين وفصلين :

الفصل الأول: يتناول معنى الاستخلاف، والحكمة، والعلة فيه ومبرراته، وهذا الجانب من قصة آدم يشير إليه القرآن الكريم في عدة مواضع، ولكن أكثرها تفصيلًا ووضوحًا الآيات الأربع الأولى من هذا المقطع الشريف، وذلك لأن جميع آيات الاستخلاف تتحدث عن هذا الموضوع ـ أيضًا ـ إلا أنها تتحدث عن استخلاف الإنسان عمومًا، مثل قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلَئِفَ الأْ رْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْض دَرَجَت لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَكُمْ إِنّ رَبّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنّهُ لَغَفُورٌرَحِيمٌ ﴾[2] .

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلَئِفَ فِي الأْ رْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلاَ يَزِيدُ الْكَفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ إِلاّ مَقْتًا وَلاَ يَزِيدُ الْكَفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاّ خَسَارًا ﴾[3] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمّا ظَلَمُواْ

١- البقرة: ٣٠ ـ ٣٩ .

٢- الأنعام: ١٦٥ .

٣- فاطر: ٣٩ .

وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيّنَـتِ وَمَـا كَـانُواْ لِيُؤْمِنُـواْ كَـذلِكَ نَجْـزِي الْقَـوْمَ الْمُـجْرِمِينَ * ثُـمّ جَعَلْنَـكُمْ خَلَـئِفَ فِـي الأْ رْضِ مِـنْ بَعْـدِهِمْ لِنَنْظُـرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ إِنّا عَرَضْنَا الأْ مَانَةَ عَلَى السّمـوَ تِ وَالأْ رْضِ وَالْجِبَالِ فَـأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الأْ نسَـنُ إِنّـهُ كَـانَ ظَلُومًـا جَهُولًا ﴾[2] .

وسوف نلاحظ أن هذه الآيات الكريمة الأخرى تكمل الصورة في فهم هذه الخلافة ومبرراتها، التي لا تختص بشخص آدم .

والفصل الثاني: يتناول مسيرة الخلافة من الخلق إلى الأرض، والعملية التي تم بها انجاز هذا الاستخلاف خارجًا، وهذا الجانب تحدث عنه القرآن في مواضع متعددة منها ما ورد في هذا المقطع الشريف من سورة البقرة من الآية (٣٠) إلى (٣٩)، ومنها ما ورد في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـاكُمْ فِـي الأَرْضِ وَجَعَلْنَـا لَكُـمْ فِيهَـا مَعَـايِشَ قَلِيلاً مَّـا تَشْـكُرُونَ، وَلَقَدْ خَلَقْنَـاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّـاجِدِينَ، قَـالَ مَـا مَنَعَـكَ أَلاَّ تَسْـجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَـالَ أَنَـاْ خَيْـرٌ مِّنْـهُ خَلَقْتَنِـي مِـن نَّـارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ، قَـالَ فَـاهْبِطْ مِنْهَـا فَمَـا يَكُـونُ لَـكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَـا

١- يونس: ١٣ ـ ١٤ .

٢- الأحزاب: ٧٢ .

فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ، وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ، فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ، قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِن لَّمْ تَغْفِرْلَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ، قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ، يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ

هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

وكذلك ما ورد في سورة طه في الآية ١١٥ ـ ١٢٣، وغيرها من الآيات، ولابد من دراستها بشكل عام .

الفصل الأول

في مبررات الخلافة والحكمة في استخلاف آدم (عليه السلام) :

إن ما يعنينا من دراسته في هذا الفصل، هو الآيات الأربع الأولى من هذا المقطع القرآني الشريف، والآيات الأخرى المشابهة السابقة .

والبحث فيها، وما تضمنته من معلومات ومفاهيم له عدة جوانب :

الأول: تحديد الموقف العام تجاه دراسة هذه الآيات من هذا المقطع القرآني، وتصويرما يعنيه القرآن الكريم منها .

الثاني: تحديد الموقف القرآني والإسلامي تجاه بعض المفاهيم التي جاءت في هذا المقطع، بالشكل الذي ينسجم مع المسلمات القرآنية، والظهور اللفظي لهذا المقطع بالخصوص .

وقد اختص هذان الأمران بهذا المقطع، لما ذكرناه من وضوحه وتفصيله

١- الأعراف: ١٠ ـ ٢٧ .

الثالث: بيان الصورة الكاملة حول الاستخلاف، التي يمكن استفادتها من مجموع الآيات القرآنية الشريفة المتشابهة .

وفيما يتعلق بالجانب الأول نجد الشيخ محمد عبده تبعًا لبعض الدارسين المتقدمين يذكر رأيين مختلفين بحسب الشكل وأن كانا يتفقان في النهاية، حسب ما يقول:

الرأي الأول: هو الذي سار عليه السلف واختاره الشيخ محمد عبده نفسه أيضًا، حيث يقول: « وأما ذلك الحوار في الآيات فهو شأن من شؤون الله مع ملائكته، صوره لنا في هذه الفصول بالقول والمراجعة والسؤال والجواب، ونحن لا نعرف حقيقة ذلك القول، ولكننا نعلم أنّه ليس كما يكون منا، و إن هناك معاني قصدت إفادتها بهذه العبارات، وهي عبارة عن شأن من شؤونه تعالى قبل خلق آدم وأنّه كان يعدّ له الكون، وشأن مع الملائكة يتعلق بخلق نوع الإنسان، وشأن آخر في بيان كرامة هذا النوع وفضله »[1] .

والرأي الثاني: الرأي الذي سار عليه الخلف من المحققين وعلماء الإسلام الذين بذلوا جهدهم في دراسة القرآن والتعرف على مقاصده وتأويله على أساس العقل، فإذا جزم العقل بشيء وورد النقل خلافه، يكون حكم العقل القطعي قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره، حيث يرون أنّ هذه القصة بمواقفها المختلفة إنما

١- المنار١: ٢٥٤ .

جاءت على شكل التمثيل ومحاولة تقريب النشأة الآدمية الإنسانية وأهميتها وفضيلتها، وأنّ جميع المواقف والمفاهيم التي جاءت فيها لا يمكن فهم حقيقة المعاني والأهداف التي قصدت منها، بل يأتينا الله في ذلك ما يقرّب المعاني من عقولنا ومخيلتنا[1] .

فالرأي الأول والثاني و إن كانا يلتقيان في حقيقة تنزيه الله سبحانه وتعالى وعالم الغيب عن مشابهة المخلوقات المادية المحسوسة في مثل هذه المشاهد والمواقف المختلفة، وكادا يتفقان ـ أيضًا ـ في الاهداف والغايات العامة المقصودة من هذا المقطع القرآني، ولكنهما مع ذلك يختلفان في إمكانية تحديد بعض المفاهيم التي وردت في المقطع، كما سوف يتضح ذلك عند معالجتنا للمقطع القرآني من جانبه الآخر.

وفيما يتعلق بالجانب الثاني نجد السلف ـ انسجامًا مع موقفهم في الجانب ـ الأول يقفون من دراسة المقطع موقفًا سلبيًا، ويكتفون ـ في بعض حالات الانفتاح ـ بذكر الفوائد الدينية التي تترتب على ذكر القرآن لهذا المقطع القرآني (المتشابه) الذي لا يمكن فهم حقيقة المعاني فيه .

وقد أشار الشيخ محمد عبده إلى بعض هذه الفوائد، ونكتفي بذكر فائدتين منها :

١- المصدر السابق: ٢٥٥ .

الأولى: أنّ الله سبحانه وتعالى في عظمته وجلاله يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعه وما يخفى عليهم من أسراره في خلقه[1].

الثانية: أنّ الله سبحانه لطيف بعباده رحيم بهم، يعمل على معالجتهم بوجوه اللطف والرحمة، فهو يهدي الملائكة في حيرتهم ويجيبهم عن سؤالهم عندما يطلبون الدليل والحجة بعد أن يرشدهم إلى واجبهم من الخضوع والتسليم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ﴾[2].

وأما الخلف فقد حاولوا إيضاح المفاهيم التي وردت في هذا المقطع القرآني ليتجلى بذلك معنى استخلاف الله سبحانه وتعالى لآدم.

وعلى أساس منهج الخلف نرى في المقطع القرآني عدة مواضيع للحديث ترتبط بقضية الاستخلاف، يحسن بنا الإشارة إليها، والوقوف عندها، ثم الحديث عن المعنى العام للمقطع القرآني :

١ ـ الخلافة:

الخليفة بحسب اللغة: من خلف من كان قبله، وقام مقامه، وسد مسده، وتستعمل ـ أيضًا ـ بمعنى النيابة[3]، ومن هذا المنطلق

١- وهذا يعني توجيه الإنسان للبحث والتدبر في خلق الإنسان والكون.

٢- البقرة: ٣٠ ـ ٣١، المنار١: ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

٣- مفردات الراغب: ١٥٦ ـ ١٥٧، مادة (خلف).

يطرح هذا السؤال: لماذا سمي آدم خليفة ؟ وما هو المضمون القرآني لهذا اللفظ ؟

توجد هنا عدة مذاهب:

الأول: أنّ آدم سُمّي خليفة لأنّه خلف مخلوقات الله سبحانه في الأرض، وهذه المخلوقات إما أن تكون ملائكة أو يكونوا الجن الذين كانوا قد أفسدوا في الأرض وسفكوا فيها الدماء، كما روي عن ابن عباس، أو يكونوا آدميين آخرين قبل آدم هذا[1] .

الثاني: أنّه سُمّي خليفة لأنه وأبناءه يخلف بعضهم بعضًا، فهم مخلوقات تتناسل ويخلف بعضها البعض الآخر، وقد نسب هذا المذهب إلى الحسن البصري[2] .

الثالث: أنّه سُمّي خليفة لأنه يخلف الله سبحانه في الأرض .

وفي تفسير هذه الخلافة لله سبحانه وارتباطها بالمعنى اللغوي تعددت الآراء واختلفت، ومن أهم هذه الآراء :

أ ـ أنه يخلف الله في الحكم والفصل بين الخلق، لأن الله قد أعطاه حق القضاء وحل الاختلافات، وهو المروي عن ابن مسعود[3] .

ب ـ يخلف الله سبحانه في عمارة الارض واستثمارها، من إنبات

١- التبيان للطوسي ١: ١٣١ .

٢- المصدر السابق .

٣- المصدر السابق .

الزرع، و إخراج الثمار، وشق الأنهار، وغيرذلك[1] .

ج ـ يخلف الله سبحانه في العلم بالأسماء، كما ذهب إلى ذلك العلامة الطباطبائي[2] .

د ـ يخلف الله سبحانه في الأرض بما نفخ الله فيه من روحه ووهبه من قوة غيرمحدودة، سواء في قابليتها أو شهواتها أو علومها، كما ذهب إلى ذلك الشيخ محمد عبده[3] .

ولعل المذهب الثالث من هذه المذاهب الثلاثة، هو الصحيح، لظهورالنص القرآني فيه، ولما ذكرته بعض الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الشأن[4] .

ويكون ما ذكرفي القول الأول والثاني، إنّما هو من آثارهذه الخلافة ومترتباتها .

كما يمكن أن ما ذكره الشيخ محمد عبده في القول الرابع هو بيان السرّ في منح الإنسان هذه الخلافة، لأنّه يتميزبهذه المواهب

١- المصدرالسابق .

٢- الميزان ١: ١١٨ .

٣- المنار١: ٢٦٠ .

٤- تفسيرالقمي ١: ٣٦ ـ ٣٧، فقد روى جابربن يزيد الجعفي عن الباقر(عليه السلام)، عن آبائه(عليهم السلام)، عن أميرالمؤمنين(عليه السلام): « إنَّ الله تبارك وتعالى لما أحبَّ أن يخلق خلقًا بيده .. قال: إني جاعل في الأرض خليفة لي عليهم، فيكون حجة لي عليهم في أرضي على خلقي ... »، وكذلك في علل الشرائع ١: ١٢٩، حديث: ١، وعنه تفسيرنورالثقلين ١: ٥١ ـ ٥٢، حديث :٨٠ .

والقوى والقابليات، ولا يمثل رأيًا قبال الآراء الأخرى في تفسير معنى الخلافة، وإنّما هو بيان السرّ والعلّة لهذه الخلافة .

وبذلك يمكن أن نجمع بين هذه الأقوال .

٢ـ كيف عرف الملائكة أن الخليفة يفسد في الأرض :

لقد ذكر المقطع القرآني أن جواب الملائكة على إخبار الله تعالى لهم بجعل آدم خليفة في الأرض، أنّهم تساءلوا عن سبب اصطفاء هذا المخلوق، ووصفوه بأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فكيف عرف الملائكة هذه الصفة في هذا الخليفة ؟

وهنا عدة آراء :

الأول: أن الله سبحانه وتعالى أعلمهم بذلك، لأن الملائكة لايمكن أن يقولوا هذا القول رجمًا بالغيب وعملًا بالظن[1]، فلابد لهم من العلم ; والعلم مصدره هو الله تعالى، غاية الأمر أن هذا الإعلام لم يذكر في الآيات الشريفة، وإنّما تم بطريقة ما، فكأنه تعالى قال: إني جاعل في الأرض خليفة يكون من ولده إفساد في الأرض وسفك الدماء .

الثاني: أنهم قاسوا ذلك على المخلوقات التي سبقت هذا الخليفة ـ من الآدميين أو الجن ـ الذي سوف يقوم مقامها، كما يشير إلى ذلك بعض الروايات والتفاسير، فعن ابن عباس، وابن مسعود،

١- التبيان ١: ١٣٢ .

وقتادة: إنّما أخبروا بذلك عن ظنهم وتوهمهم لأنّهم رأوا الجن من قبلهم قد أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فتصوروا أنه إن استخلف غيرهم كانوا مثلهم[1] .

و إلى مثل هذا تشير بعض الروايات، مثل ما رواه العياشي، عن الصادق (عليه السلام) قال: « وما علم الملائكة بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ لولا أنهم قد كانوا رأوا مَنْ يفسد فيها ويسفك الدماء »[2] .

الثالث: أنّ طبيعة الخلافة تكشف عن ذلك بناء على الرأي الأول من المذهب الثالث في معنى الخلافة، حيث أن الفصل والحكم يفترض وجود الاختلاف والنزاع، ولازمه الفساد في الأرض وسفك الدماء .

الرابع: أنّ طبيعة الخليفة نفسه تقتضي ذلك، وهنا رأيان :

أ ـ ان المزاج المادي والروحي لهذا المخلوق الذي يريد أن يجعله الله خليفة، والأساس الاجتماعي للعلاقات الأرضية التي سوف تحصل بين ابناء هذه المخلوقات، هي التي جعلت الملائكة يعرفون ذلك، يقول العلامة الطباطبائي «إن الموجود الأرضي بما أنه مادي مركب من القوى الغضبية والشهوية والدار دار التزاحم محدودة الجهات وافرة المزاحمات، مركباتها في معرض الانحلال وانتظاماتها

١- المصدر السابق .

٢- تفسير العياشي ١: ٢٩، وعنه البحار ١١: ١١٧، حديث: ٤٧ .

و إصطلاحاتها مظنة الفساد ومصب البطلان، لا تتم الحياة فيها إلا بالحياة النوعية ولا يكمل البقاء فيها إلا بالاجتماع والتعاون فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء»[1] .

ب ـ إن الارادة الإنسانية بما أُعطيت من اختيار يتحكّم في توجيهه العقل بمعلوماته الناقصة، هي التي تؤدي بالإنسان إلى أن يفسد في الأرض ويسفك الدماء، قال محمد عبده: «أخبر الله الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة، نفهم من ذلك أنّ الله يودع في فطرة هذا النوع الذي يجعله خليفة أن يكون ذا إرادة مطلقة واختيار في عمله غير محدود، و إن الترجيح بين ما يتعارض من الأعمال التي تعنّ له تكون بحسب علمه، و إن العلم إذا لم يكن محيطًا بوجوه المصالح والمنافع فقد يوجه الإرادة إلى خلاف المصلحة والحكمة، وذلك هو الفساد، وهو معين لازم الوقوع، لأن العلم المحيط لا يكون إلا لله تعالى »[2] .

ويبدو أنّ الرأي الأول هو الصحيح، حيث إنّه تعالى لا بد وأنّه قد أعلم الملائكة بذلك، ولو عن طريق إعلامهم بحال وطبيعة هذا المخلوق الذي ينتهي به الحال إلى هذه النتائج .

وأما ما بُيّنَ من هذه الطبيعة فلعل الصحيح هو بيان أمرين :

أحدهما: الخصوصية المادية الغضبية والشهوية، التي أشار إليها

١- الميزان ١: ١١٥ و ١١٩، والتفسير الكبير ١: ١٢١ .

٢- المنار ١: ٢٥٦ .

العلامة الطباطبائي وهي الهوى في طبيعة هذا الخليفة .

والآخر: هو أنّ هذا الإنسان مريد ومختار يعمل بإرادته، كما ذكر الشيخ محمد عبده، ويمكن أن نفهم ذلك من قرينة قول الملائكة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدّسُ لَكَ﴾، حيث أن هذا التسبيح والتقديس أمر لازم في الملائكة لاينفك عنهم ;لأنّهم غير مختارين، بل يفعلون ما يؤمرون، بخلافه في الإنسان باعتبار إرادته، الأمر الذي استدعى التوضيح الإلهي، الذي يشتمل على بيان الخصوصية التي تجعل هذا الموجود مستحقًا لهذه الخلافة وهو العلم .

وقد تحدث القرآن الكريم في وصف الإنسان بكلتا الخصوصيتين والصفتين، فقد قال تعالى في وصف الإنسان في خصوصيته المادية: ﴿زُيّنَ لِلنّاسِ حُبّ الشّهَوَ تِ مِنَ النّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذّهَبِ وَالْفِضّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوّمَةِ وَالاْ نْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدّنْيَا وَاللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ﴾[1] .

كما تحدث عن اختياره فقال: ﴿إِنّا خَلَقْنَا الاْ نسَنَ مِن نُطْفَة أَمْشَاج نّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَهُ سَمِيعًا بَصِيرًا. إِنّا هَدَيْنَهُ السّبِيلَ إِمّا شَاكِرًا وَ إِمّا كَفُورًا﴾[2] .

١- آل عمران: ١٤ .

٢- الإنسان: ٢ ـ ٣ .

٣ ـ الأسماء :

والأسماء من المفاهيم التي وقع الخلاف فيها بين علماء التفسير حول حقيقتها والمراد منها، والآراء فيها تسير في الاتجاهين التاليين :

الأول: أنّ المراد من الأسماء الألفاظ التي سمّى الله سبحانه بها ما خلقه من أجناس وأنواع المحدثات وفي جميع اللغات، وهذا الرأي هو المذهب السائد عند علماء التفسير، ونسب إلى ابن عباس، وبعض التابعين[1] .

وينطلق أصحاب هذا المذهب من فكرة أنّ الله سبحانه كان قد علّم آدم جميع اللغات الرئيسة ; وقد كان ولده على هذه المعرفة، ثم تشعبت بعد ذلك واختص كل جماعة منهم بلغة غير لغة الجماعة الأخرى .

الثاني: أنّ المراد من الأسماء: المسميات، أو صفاتها وخصائصها، لا الألفاظ، وحينئذ فنحن بحاجة إلى القرينة القرآنية أو العقلية التي تصرف اللفظ إلى هذا المعنى الذي قد يبدو أنّه يخالف ظاهر الاطلاق القرآني لكلمة (الأسماء) الدالة على الألفاظ .

والقرينة الدالة على استعمال لفظ (الأسماء) في (المسميات)، يمكن أن نتصورها في الأمور التالية :

أ ـ كلمة (علم) التي تدل على أنّ الله سبحانه منح آدم

١- التبيان ١: ١٣٨ .

(العلم) وبما « أن العلم الحقيقي انما هو إدراك المعلومات أنفسها، لأن الألفاظ الدالة عليها تختلف باختلاف اللغات التي تجري بالمواضعة والاصطلاح فهي تتغير وتختلف، والعلم الحقيقي بالشيء لايتغير، وهذا بخلاف المعنى فأنه لا تغيير فيه ولا اختلاف »[1]، فلابد أن يكون هو المسميات التي هي المعلومات الحقيقية .

ب ـ قضية التحدي المطروحة في الآيات الكريمة، ذلك أنّ الأسماء حين يقصد منها الألفاظ واللغات، فهي إذن من الأشياء التي لا يمكن تحصيلها إلا بالتعليم والاكتساب، فلا يحسن تحدي الملائكة بها، إذ لا دلالة في تعليمها آدم على وجود موهبة خاصة فيه يتمكن بها من معرفة الأسماء، بل علمها بالتعليم الذي كان يمكن للملائكة أن يعلموا من خلاله، وهذا على خلاف ما إذا قلنا: إنّ المقصود منها المسميات، فإنها مما يمكن إدراكه ـ ولو جزئيًا ـ عن طريق إعمال العقل الذي يُعدّ موهبة خاصة فيكون لمعرفة آدم بها دلالة على موهبة خاصة منحه الله اياها .

قال الطوسي: « إنّ الأسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لإيثاره الفضيلة بها »[2] .

وقال الرازي: « وذلك لأن العقل لا طريق له إلى معرفة اللغات

١- المنار ١: ٢٦٢ .

٢- التبيان ١: ١٣٨ .

البتة، بل ذلك لا يحصل إلا بالتعليم، فإن حصل التعليم حصل العلم به و إلا فلا، أما العلم بحقائق الأشياء، فالعقل متمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي فيه »[1] .

ج ـ عجز الملائكة عن مواجهة التحدي، لأن هذه الأسماء لو كانت الفاظًا لتوصل الملائكة إلى معرفتها بأنباء آدم لهم بها، وهم بذلك يتساوون مع آدم فلا تبقى له مزية وفضيلة عليهم، فلابد لنا من أن نلتزم بأنّها أشياء تختلف مراتب العلم بها، الأمر الذي أدى إلى أن يعرفها آدم معرفة خاصة تختلف عن معرفة الملائكة لها حين إخباره لهم بها، وهذا يدعونا لأن نقول إنّها عبارة عن المسميات لا الألفاظ .

قال العلامة الطباطبائي بصدد شرح هذه الفكرة: « أن قوله تعالى: ﴿ ... وَعَلّمَ ءَادَمَ الأَسْمآءَ كُلّهَا ثُمّ عَرَضَهُمْ ... ﴾، يشعر بأن هذه الأسماء ـ أو إن مسمياتها ـ كانت موجودات أحياء عقلاء محجوبين تحت حجاب الغيب، و إن العلم بأسمائهم كان غير العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، والاّ كانت بإنباء آدم إياهم بها عالمين بها وصائرين مثل آدم مساوين معه »[2] .

ولكن ما هي العلاقة المعنوية التي صححت استعمال لفظ (الأسماء) مجازًا من (المسميات) ؟

وحين يصل أصحاب هذا الاتجاه إلى هذه النقطة نجدهم

١- التفسير الكبير ٢: ١٧٦ .

٢- الميزان ١: ١١٧ .

يحـاولون أنْ يتعرفـوا علـى هـذه العلاقـة ويـذكرون لـذلك قـرائن متعددة :

١ ـ فالرازي يرى هذه المناسبة والعلاقة في مصدر اشتقاق الاسم، فإن هذا الاشتقاق إما أن يكون من السمه أو السمو« فإن كان من السمة كان الأسم هو العلامة، وصفات الأشياء خصائصها دالة على ماهياتها، فصح أن يكون المراد من الأسماء: (الصفات) . وإن كان من السمو فكذلك، لأنّ دليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء، فإن العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول »[1]، والصفات تدل على الموصوف، وهي كالظاهر المرتفع بالنسبة إلى الشيء .

٢ ـ والشيخ محمد عبده يرى هذه العلاقة في « شدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له وسرعة الانتقال من أحدهما إلى الآخر» .

٣ ـ كما أنّه يرى في ذلك وجهًا آخر، يكاد يغنيه عن هذه العلاقة حيث: إنّ الأسم قد يطلق إطلاقًا صحيحًا على صورة المعلوم الذهنية (أي ما به يعلم الشيء عند العالم) فاسم الله مثلًا هو ما به عرفناه في أذهاننا لا نفس اللفظ، بحيث يقال: إننا نؤمن بوجوده ونسند إليه صفاته، فالأسماء هي ما يعلم بها الأشياء في الصور الذهنية وهي العلوم المطابقة للحقائق الخارجية الموضوعية، والاسم بهذا المعنى، هو الذي جرى الخلاف بين الفلاسفة، في أنه عين المسمى أو غيره، الأمر الذي يدعونا لأن نقول: إنّ للاسم معنى آخر

١- المصدر السابق: الموضوع نفسه .

غيراللفظ، إذ لا شك بان اللفظ غيرالمعنى .

والاسم بهذا الاطلاق ـ أيضًا ـ هوالذي يتبارك ويتقدس : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأْ عْلَى﴾[1]، اذ لا معنى لأن يكون اللفظ هوالذي يتبارك ويتقدس[2] .

كما أنه هوالذي يوصف بالحسنى ﴿... لَهُ الأْ سْمآءُ الْحُسْنَى﴾[3]، بما يعبرهذا الاسم عن الأوصاف الحسنة .

وهذا هو ما نفهمه، مما في دعاء أميرالمؤمنين (عليه السلام) من قوله: « وبأسمائك التي ملأت أركان كل شيء »، فأن هذه الأسماء إنّما هي مظاهرالأوصاف الإلهية الحقيقية التي تجلت في كل الوجود، من القدرة والحكمة والرحمة والجود والكرم... الخ .

فتعليم آدم الأسماء كلها، هو تعليمه الصفات والخصائص التي تتصف بها الأشياء .

ماهي حقيقة هذه الأسماء ؟

وبعد هذا كله نجدهم يختلفون في حقيقة هذه المسميات والمراد منها في الآية الكريمة .

وهناك اتجاهان رئيسيان يطرحان في هذا المجال :

١- الأعلى: ١ .

٢- المنار١ : ٢٦٢.

٣- طه: ٨ .

الأول: إن هذه المسميات موجودات أحياء عقلاء وهي إما :

أ ـ عبارة عن أسماء العناصر والذوات الإنسانية الموجودة في سلسلة امتداد الجنس البشري من الأنبياء والربانيين والأحبار الذين جعلهم الله تعالى شهودًا على البشرية والإنسانية، واستحفظهم الله تعالى على كتبه ورسالاته ﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ... ﴾[1]، ويكون وجود هذا الخط الإنساني الإلهي الكامل، هو الضمان الذي أعده الله تعالى لهداية البشرية والسيطرة على الهوى، وتوجيه الإرادة نحو الخير والصلاح والكمال .

وقد ورد هذا الاتجاه في روايات أهل البيت (عليهم السلام)، فعن الصادق (عليه السلام): « إن الله تبارك وتعالى علم آدم (عليه السلام) اسماء حجج الله كلها ثم عرضهم . وهم أرواح ـ على الملائكة ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هَؤُلآءِ إِنْ كُنْتُمْ صَدِقِينَ﴾، بأنكم أحق بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم (عليه السلام) ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَادَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمآئِهِمْ﴾، وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره

١- المائدة: ٤٤ .

فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته »[1] .

فكأنه أريد بهذا التعليم بيان الخلفاء الحقيقيين والذوات الطاهرة النقية من عباد الله الصالحين، الذين استحق بهم الجنس البشري صلاحية الخلافة على الأرض، باعتبارهم المسبحين المقدسين لله مع الإرادة والعلم، وبذلك يفضلون على الملائكة .

ويكون العلم بهذه الأسماء معناه تحقق وجودها في الخارج باعتبار مطابقة العلم للمعلوم، وتعليم آدم الأسماء إنّما هو إخباره بوجودها، أو إيداعها في صلبه .

أو يكون العلم بالأسماء معناه إيداع هذه الكمالات التي يتصف بها هؤلاء المخلوقون في خلقته وتأهيله للوصول إليها بإرادته، وهي صفات وكمالات تمثل نفحة من الصفات والكمالات الإلهية، ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ كلمة الأسماء في القرآن الكريم تطلق على الصفات الإلهية بنحو من الإطلاق .

وقد مال أستاذنا الشهيد الصدر (قدس سره) إلى هذا الرأي، حيث افترض بأن الملائكة حين أخبرهم الله تعالى بإرادته في أن يجعل آدم خليفة في الأرض، ثارت في نفوسهم مخاوف أن يفسد هذا الخليفة الذي يتمتع بالإرادة والاختيار، وعندما أخبرهم الله تعالى بوجود الأنبياء والأولياء والأوصياء، أي بوجود هذا الخط الذي يعبر

١- كمال الدين للصدوق ١: ٢٥، رواه بطريقين ضعفين، ط الاعلمي .

عنه بخط الشهادة الذي يكون مقتضاه شهادة أصحاب هذا الخط على الناس والنظارة على حركتهم وتعليمهم وهدايتهم، وحينئذ استقرت نفوس الملائكة، وذهبت عنهم الحيرة والخوف بعد معرفتهم لهذه الحقيقة[1].

ب ـ أو هي أسماء ذرية آدم وأسماء الملائكة، كما ورد ذلك عن الربيع بن زيد[2].

ج ـ ويرى العلامة الطباطبائي أنها موجودات عاقلة لها مراتب من الوجود، ويمكن من خلال العلم بها أن يسير الإنسان في طريق التكامل.

وكأن أصحاب هذا الاتجاه أستفادوا ثبوت الحياة والعقل، لهذه الموجودات من قوله تعالى: ﴿ ... ثُمّ عَرَضَهُمْ ... ﴾، حيث استخدم ضمير الجماعة المختص بمن يعقل[3].

ولكن الشيخ الطوسي يناقش فكرة الاعتماد على الضمير بقوله: «وهذا غلط لما بيناه من التغليب للعاقل على غيره وحسنه، كما قال تعالى: ﴿ وَاللّهُ خَلَقَ كُلّ دَآبّة مّن مّآء فَمِنْهُم مّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَع ... ﴾[4]،

١- خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء.

٢- التبيان للطوسي ١: ١٣٨ .

٣- الميزان ١: ١١٧ .

٤- النور: ٤٥، التبيان للطوسي ١: ١٣٨ .

فحينما يكون المورد شاملاً للعقلاء وغيرهم يغلّب ضمير العقلاء» .

الثاني: أن هذه المسميات تعني الحقائق والأشياء في هذا الكون وما يتعلق بعمارة الدين والدنيا من غير تحديد ولا تعيين .

وقد تبنى هذا الاتجاه عدد كبير من المفسرين، وهو الظاهر من كلام الشيخ الطوسي[1]، والرازي[2]، في تفسيرهما، والشيخ محمد عبده[3]، وحكاه الطبرسي[4]، عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعن أكثر المتأخرين .

١- المصدر السابق .

٢- التفسير الكبير ٣: ١٧٦ .

٣- المنار ١: ٢٦٢ .

٤- مجمع البيان ١: ١٥٢ ، ط الاعلمي .